روضة الفرخ الهدهد

اليافاوية

سيرة ذاتية (١)

إهداء عام

الى د. رضوى عاشور
وروايتها "الطنطورية"
وإلى جمعية يافا "للتنمية
الاجتماعية"

وأحاديث الذكريات.

إهداء خاص

إلى روح والدي ووالدتي

وروح أخواتي وأخي وابنه

وإلى أخواتي وأخوي.

شكر وتقدير

عندما سمعتُ مصطلح " التاريخ الشفهي للشعوب " من محاضرة للدكتورة " إلهام أبو غزالة " ، تحثُ فيها الشعب الفلسطيني على كتابة تاريخه بيده وعدم تركه لأهواء المؤرخين، يكتبونه حسب انتماءاتهم السياسية ؛

وعندما تكرر سماعي أُكذوبة " أن الشعب الفلسطيني باع أراضيه قبل الهجرة ، فلا يحق له أن يطالب بالعودة إليها"، وأصبح هذا المفهوم " بيع الأراضي " سُبّة وعار في جبين اللاجئ الفلسطيني أينما ذهب ، خصوصاً في الأقطار العربية ؛

وعندما حضرتُ بعض اللقاءات والندوات التي تحدث فيها "كبار السن " عن ذكرياتهم في هجرتهم القسرية من بيوتهم وأراضيهم في فلسطين ، وتشردهم في مخيمات اللاجئين ؛

أحسستُ أن عليَّ واجباً لكتابة هذه السيرة الذاتية عن هجرة عائلتي من يافا ، علّي أساهم في صياغة التاريخ المكتوب من خلال تجربة ذاتية عشتها طوال الهجرة منذ عام 1946 وإلى اليوم ..

إنني مدينة بالشكر والتقدير لكل من حرّضني على ضرورة كتابة التاريخ الشفهي للشعوب ، وضرورة دحض فكرة بيع

الفلسطيني لأرضه ووطنه والرحيل عنه .

كما أنني مدينة بالشكر والتقدير للذين قرأوا المخطوطة وعلّقوا عليها :

أولاً أختي ازدهار فهيم الفرخ ، التي واكبت قراءتها من البداية وبعد كل زيادة أو توسّع في مواضيعها ، وحتى بعد تصحيحها في المسودات المختلفة .. لقد عاشت شقيقتي الهجرة ورأتها بأم عينيها ، ووعت تفاصيلها ، فكانت شاهداً على صدق ودقة هذه التفاصيل .. فلها كل الشكر والتقدير .

والشكر لأبنائي وأبناء أخواتي وأقاربي الذين عرضتُ عليهم المخطوطة ، فأبدوا آراءهم الشفهية والخطية حول بعض ما ورد فيها . أبنائي : خالد وشادن ووليد وعمر وصلاح الدين الهدهد ، وأبناء أخواتي : حنان شعبان وزوجها الدكتور محمد حجاج ، وباسل بدران وشقيقته هاله بدران ، وهدى عزالدين وابن عمي طاهر أحمد الفرخ ..

والشكر أيضاً لصديقاتي اللواتي قرأن المخطوطة وأثنين عليها وطالبنني بزيادة أبوابها : هالة العقاد ورهام حسني

حسن ويارا البرق ولمياء سعد النمري .

وكذلك الشكر للزميل عبدالله رضوان .

كما أشكر الشابة الموهوبة ازدهار هاني الأفيوني على لوحتها الفنية للغلاف .

وأخيراً الشكر لوزارة الثقافة على دعمها لطباعة هذا الكتاب

روضة الفرخ الهدهد
٢٠١٢/٦/١٠

تقديـــم

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

من شوقٍ إلى شوق تمضي حياة الفلسطيني في الشتات ، يحلم بيوم اللقاء بوطنه المغتصب فلسطين ، سواء كان هذا الفلسطيني ممن ولد على أرض فلسطين وتم اجتثاثه منها على أيدي الصهاينة الغاصبين ، أم ممن ولد في الشتات وكبر ونما معه حبه لفلسطين وشوقه للقائها ، من افتقاده لها ومن كثرة ما يسمع عنها من أهله وذويه، وكيف أنها جنة الله في أرضه، وكيف كان أهلها ينعمون برغد الحياة وأطايبها قبل أن يبدأ اليهود الصهاينة حربهم الهمجية ضد الفلسطينين ويقوم بإرتكاب المجازر بحقهم لارهابهم وحملهم على ترك الوطن ومغادرته .

ذلك هو لسان حال كاتبتنا القديرة السيدة روضة الفرخ الهدهد وهي تتصدى لمهمة عسيرة حين تكتب سيرة ذاتية لمأساة أسرتها حين اقتلاعها من الوطن الغالي فلسطين ومعاناتها في الغربة وكفاحها في متابعة تعليم أفرادها ، ثم غربة بعضهم مرةً أخرى حين تركوا الأردن التي استقروا فيها بعد نكبة عام ١٩٤٨ إلى دولٍ أخرى في الخليج العربي طلباً للرزق كما حصل مع كثير من الأُسر الفلسطينية .

بأسلوبٍ سهل ممتنع وبسرد تلقائي للأحداث ؛ يبدأ قبل حدوث نكبة ١٩٤٨ تمضي كاتبتنا السيدة روضة في رسم صورةٍ

واقعية لرحلة اللجوء من مدينــة يافا المحتلة مروراً بالرملة، التي لم تستطع الأسرة المكوث طويلاً فيها لامتداد العدوان الصهيوني إليها ، والذي أجبرها على مغادرتها نحو الشرق باتجاه مدينة رام الله ومن ثمَّ إلى عمان حيث استقرت الأسرة فيها حالمة بيوم العودة إلى فلسطين .

شعرت كاتبتنا أن هناك الكثير مما يمكن عمله لخدمة قضية الأمة المركزية ، وتوعية الأجيال الصاعدة بتاريخ هذه القضية ، وما قدم الآباء والأجداد من تضحيات لإنقاذ فلسطين من براثن العدوان الصهيوني الغاشم، فكانت سلسلة(حكايات بطولية للأطفال)والتي تتناول سيراً لمجموعة من الأبطال والشهداء الذين سقطوا في ميادين الشرف دفاعاً عن فلسطين وحقوق أهلها .

لقد كتب الكثير من المجلدات والكتب عن نكبة فلسطين وما ألمَّ بشعبها . وأما كتابة حكاية مثل "اليافاوية" بطريقه مختصرة تكاد لا تغفل شيئاً من التفاصيل الدقيقة ، فتلك لعمري مهمةً صعبة ، أجد السيدة روضة جديرةً بالتصدي لها بحيث جعلتنا نعيش مع أسرتها كافة مراحل النكبة .

تعالوا معي نقرأ الرائع من نتاج قلم السيدة روضة ، واسمحوا لي أن اشكرها معكم على هذا الجهد المخلص والذي كتب

بطريقة لا تدعك تترك القصة حتى تنهيها.

الدكتور: محمد علي حجاج
عضو جمعية يافا للتنمية الاجتماعية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أمسكت يد أختها وانطلقتا إلى بيت العم الكبير الحاج محمد.. قالت لها ستها أم حسن : "خدي بالك يا هدى من أختك الصغيرة .. امشوا على جانب الطريق .. أوعي عربات الكارو في الطريق .. وارجعي بسرعة ولا تتأخري .. قولي لعمك الحاج محمد ستيّ بتسلم عليك وبتقول لك ياريت تعطينا حصتنا من إيجار الأرض . الفلوس خلصت وبدنا نشتري أغراض للبيت.."

مشت هدى وأختها بكرية إلى محل العم محمد ، كانت طوال الطريق تنظر إلى المحلات على جانبي الطريق.ومن بعيد تبدو لها أشجار البرتقال وبيارات الخشخاش والجريبفروت،وعلى الطريق تمر عربات الكارو يجرها حمار وعربات "الديلجانس" يجرها حصان مع مقعد وثير تركبه السيدات أو الرجال الأنيقون .. كم تمنت لو تركب يوماً هذه العربة البسيطة أو تلك الفخمة ، ولكن كيف لها هذا وهي اليتيمة التي لا أم لها ولا أب .. لم تعرف معنى كلمة ماما ، ولا تذكر أنها قالتها..أختها قربها لم تعرف أمها أيضاً .. كل ما في الدنيا حولها هو ستها أم حسن ، وأصعب مشوار عليها هو هذا المشوار ، تمشيه سيراً على الأقدام، إلى محل العم محمد.. "ذي القمباز الأسود الطويل

والحطة والعقال" ، هل كانت تخاف من حطته أو عقاله أم قمبازه ؟ لعلّها كانت تخاف من لحيته أو حاجبيه الكثيفين .. شيءٌ ما كان يخيفها في رحلتها تلك إلى محله ، ولكن ستها أم حسن كانت تصر على إرسالها لعنده كل شهر في نفس الموعد ، تطلب منه حصتها وحصة أختها من إيجار الأرض والمحلات المؤجرة والتي ورثتها عن أبيها .

لم تكد هدى تصل الدكان حتى سمعت صوتاً ضخماً أجشَّ يصرخ في وجهها ..: مَنْ ؟ هدى ؟

لم تكن قد قالت شيئاً أو طلبت شيئاً بعد .. أطلت من باب الدكان وإذ بصوتٍ مخيف ينطلق من وراء المكتب الضخم الذي يجلس خلفه الحاج محمد بقمبازه الأسود وحطته البيضاء... قائلاً:

- ما الذي جاء بك الآن يا بنت يا هدى ؟

وبصوتٍ خافت لم يخرج من حلق البنت قالت هدى:

- جئت آخذ الفلوس يا عمي..

وهبّ الرجل واقفاً وقد أقبل على البنت الصغيرة بكل عنف..

- فلوس إيش اللي جاي تاخذيها ..

وخافت البنت..لم يكن عمرها قد تجاوز الثماني سنوات، وأختها التي تمسك بيدها لم تتجاوز السادسة من عمرها ، وقد خافت هي الأخرى واختفت خلفها تمسك بذيل فستانها تحتمي

بها..

وأقبل الرجل الضخم عليهما.. لم تر هدى في عمرها أكبر من قبضة يده .. ولا أطول منه ، لم تر أكبر من أنفه أو عينيه.. ولا أكثر سواداً من جلبابه.. كل شيء كان فيه مخيفاً ، وأكثر ما يخيف كان صوته..

- روحي قولي لستك أم حسن ما فيش فلوس .. سمعتِ .. لسّه ما قبضنا الإيجار ولا بعنا البرتقال ، قولي لها دبري حالك مع " هالبنتين الفلاعيص " ..

لم يصدر أي صوت من البنت ..حاولت أن تختبئ خلف أختها الصغرى .. رجعت إلى الخلف خطوات ، هرب منها الصوت ، والسمع ، وجف حلقها ، وأحست بشعر رأسها يقف كالدبابيس يغزُ رأسها بل شعرت بيدها تتيبّس على يد أختها ، وانطلقت تعدو هاربةً من الدكان لا تلتفت إلى الخلف..

وصلت هدى وكانت ستها أم حسن بالباب مرحبّة بحضورها السريع .. ولكن هدى لم تر ستها ولم تر أحداً.. دخلت إلى الداخل وارتمت على الفراش ولم تفتح عينيها أبداً ..

أربعون يوماً كاملاً ظلّت هدى بين الحياة والموت .. لم تفارقها الحرارة .. ولم تنبس شفتاها ببنت شفة .. ظلّت ستها أم حسن قربها تستجوبها ، وهي في شبه غيبوبة ... حملوها إلى المستشفى الفرنسي وقد امتلأ جسدها ووجهها بالبثور الحمراء،

فلم يعرف ما بها .. لعلّه التيفوئيد أو الجدري أو الحصبة أو التيفوس ، كيف فجأة وفي أقل من ساعة تكون البنت في أحسن حال ، تضحك وتلعب مع أختها ، ثم تنقلب إلى ما يشبه الجثّة الهامدة ؟ ما الذي جرى لها .. حاولت أم حسن أن تستجوب الأخت الصغرى ، ولكنها لم تسعفها .. لعل حيّة لدغتها ؟لعل عقرباً قرصها؟ لعلها أكلت طعاماً عليه ذباب وجراثيم ؟.. لعل.. لعل.. والبنت لا تتجاوب ، لا مع الأدوية ولا مع كمادات الماء ولا مع مغلي الأعشاب ، وحتى البثور الحمراء لم ينفع معها غسول ماء الورد مع النشا ...

وهبّ الأهل وقد أفزعهم أن تموت البنت اليتيمة هكذا بكل بساطة..ووصل الخبر إلى العم " الحاج محمد "، وقد علم بأجور المستشفى والعلاج..فجاء يستطلع الخبر .. فهو المسؤول أولاً وأخيراً عن مصاريف هاتين اليتيمتين..فالوقف الذي أوقفه جدّهم يدرّ مالاً جيداً من تأجير الأراضي والمحلات ومن محصول البرتقال والجريبفروت والمزروعات الصيفية والشتوية..وهو المسؤول عن هذا "الوقف" ومصاريفه وإيراداته.. وهو المسؤول عن تغطية مصاريف هاتين اليتيمتين وستهما أم حسن أم والدتهما ..

لعلّ خوفه من موتها غيّر حاله ...

عريس وعروس

عندما نادى الحاج محمد على أبنائه الخمسة، يريد إرسال بعض البيض والبندورة إلى منزل هدى من إنتاج البيارة ، قفز " فهيم " من مكانه ليأخذ الأغراض بنفسه ويوصلها إلى بيت ابنة عمه هدى ..

أنا يابا .. أنا يابا آخذ الأغراض وأوصلها .. ارتاح الحاج ، فابنه هذا وإن لم يكن أكبر أبنائه ، إلا أنه أنشطهم وأكثرهم اهتماماً بالبيارة ومزروعاتها .. بل إنه يتابع مصاريف البيارة والعاملين بها أولا بأول ، ويعرف بالضبط عدد صناديق البرتقال التي تباع في فلسطين ، وعدد الصناديق التي تصدّر إلى البلاد العربية ، أو التي تصدر لأوروبا ولإنجلترا تحديداً .. كان يتعلم إدارة " الوقف " بسرعة واقتدار بل إنه كان يعرف كل فرد من أفراد العائلة من أبناء وأحفاد جدهم الكبير الذي أوقف الأرض هذه لهم ، ويعرف حصة كل واحد منهم فيها ..

حمل " فهيم " ضمة ورد من البيارة وأخفاها مع البيض والبندورة وأخذها لبيت هدى .. أعطى الأغراض لأم حسن ، وسأل عن هدى بخجل ثم – وحتى يخفي ما بهِ – سأل عن أختها بكرية ؛ وغادر بالحال .. ولكنه ومنذ ذلك النهار أصبح يرسل حصة هدى وأختها بكرية في إيراد الأرض والحواصل –المحلات التجارية – في موعدها بل أصبح يرسل معها الدجاج

والأرانب والملوخية المقطّعة ...

بدأت خيوط الحب والهيام تملأ قلبه ...

سنوات – ولم تبلغ هدى بعد الثالثة عشرة من عمرها– طلب فهيم من والده الحاج محمد أن يخطبها له فهو لم يعد يستطيع الفراق عنها ، أو التفكير بأنها قد تكون لغيره من الأنام ...

كان فهيم يتابع هدى في ذهابها للمدرسة ، وعودتها منها، ويتابع ستها أم حسن في تسوّقها من السوق، فيرسل لها العربة الكارو لتوصلها وتعود بها وبالأغراض التي اشترتها وعندما كانت أمه تقيم دعوة لصديقاتها ، كان يصر على أمه أن تدعو أم حسن وحفيدتيها ، عله يشاهد هدى ولو من بعيد ، وعندما أصر أخوه الأصغر أن يذهب إلى مصر للدراسة في جامع الأزهر في القاهرة ، أصر هو على البقاء في فلسطين والدراسة في مدارسها ، ليبقى قريباً من البيارة والوقف!! أو لعلّه يبقى قريباً من ابنة العم ، إلى أن يتحقق حلمه .. ويتزوج أجمل الجميلات..

وقد تحقق ...

لبِس البدلة البيضاء وركب الحصان الأبيض ، وحمل على جناحه عروسه هدى ، ومضى يحلم بأحلى حياة وأهنأ حال ...

سبع ليالٍ ملاح ...

أما هدى فلعلها كانت هي الأخرى تحلم بأحلى حياة وأهنأ حال وقد انتقلت إلى بيت عريسها في البيارة الكبيرة ، وحولها أشجار البرتقال والجريبفروت ، وأخمام الدجاج وبيوت الأرانب، وأحواض الزهور وبرك الماء ..وقد أعد لها عريسها غرفة نوم رائعة في بيت العائلة.

كان العرس قد أقيم على أكبر بركة للماء في البيارة ، وقد ملأها فهيم بالتفاح والبرتقال والزهور والورود ، ثم أضاءها بالمصابيح من كل جانب ، بل لقد أضاء ممرات البيارة بالأشرطة الكهربائية الطويلة ذات المصابيح الكهربائية الملونة، ووقفت الطباخات تطبخ الخراف والأرز للضيوف والأقارب على مدى أيام العرس... ووقف الأقارب وكل العمال في البيارة:البياريين والبياريات لإحياء عرس هذا الشاب على أجمل بنات يافا... وكانت نساء العائلة يتبارين ليساعدن في زفاف هدى ، بينما تقوم " الماشطة " بتزيين العروس وتمشيط شعرها ..

في يافا كان شارع اسكندر عوض وشارع جمال باشا ، محط أنظار أي عروس لشراء جهازها منه ..ولم تبخل أم حسن على حفيدتها بأي شيء.. فالبنت جميله وكل شيء "بيلبقلها" ويزيدها جمالاً ، والأعراس في يافا يعني " سبع ليالٍ ملاح" وسبع بدلات فرح ، ترقص بها العروس مع الراقصات المحترفات

"الجنكيات" .. والعروس حلوه ويليق بها الفرح ، والعريس شاب مليء لا ينقصه المال ولا الشباب ولا الرجولة ، ليجعل من عرسه حديث المدينة إذن ..

مع الثورة

واحد فقط من أفراد العائلة لم يحضر العرس .. إنه "خالد" ، خالد الذي لم يكن لديه أي وقت للأفراح والأعراس وإضاعة الوقت .. كان عمله يستغرق كل وقته .. فهو رجل السياسة والنضال والدفاع عن الوطن ، كانت فلسطين في تلك الفترة عام ١٩٣٠ تغلي بالأحداث السياسية العنيفة:

" بلفور " أعطى وعده لليهود بإقامة دولة لهم في فلسطين عام ١٩١٧ .. والحرب العالمية الأولى وضعت أوزارها وانتصر الإنجليز والفرنسيون وقسّموا إرث الدولة العثمانية فيما بينهم..وعصبة الأمم المتحدة أعطت الإنجليز سلطة الإنتداب على أرض فلسطين ، فقاموا بتعيين مندوب سام إنجليزي لحكم فلسطين ، وبدأوا بالسماح للهجرة اليهوديةً إلى فلسطين ، فتدفق مئات الآلاف من المهاجرين اليهود في سفن كبيرة إلى سواحل فلسطين ، وبدأ الإنجليز فعلاً بتطبيق وعد بلفور على

الأرض الفلسطينية ، فوضعوا المدراء الإنجليز في معظم الدوائر الرسمية المهمّة .. وفرضوا اللغة الإنجليزية ، ثم اللغة العبرية على كل الوثائق الرسمية وسندات التسجيل "كواشين" الأراضي والعقارات والبيوت والمحال ، وكذلك أسماء الشوارع وشهادات الميلاد ومصلحة الضرائب ومصلحة المياه .. باختصار كل صغيرة وكبيرة في حياة الفلسطينيين تأثرت مباشرة من حكومة الإنتداب البريطاني وسياستها في تهويد البلاد.

وكان ميناء مدينة " يافا " أهم موانئ فلسطين ، وفيه يعمل العمال العرب لحمل تجارة بلدهم وتصديرها إلى العالم أو لاستيراد البضائع من أنحاء العالم إلى يافا وفلسطين وشرق الأردن ، فكانت السفن تقف في الميناء ، إما لحمل البضاعة من فلسطين ويافا أو لإنزال البضاعة إلى يافا وفلسطين.

فكيف سيتاح للسفن التي تحمل المهاجرين اليهود بالنزول إلى ميناء يافا؟ وكيف سيرضى العمال العرب باستقبالهم وإدخالهم إلى أراضيهم ؟.. بل كيف سيرضون بإدخال الأسلحة لليهود ويحملونها بأيديهم لقتل إخوانهم ؟

كان "خالد" شقيق " فهيم " قد أدرك الخطر الذي يحيق بفلسطين ، فقرر أن ينذر نفسه للعمل الوطني لإنقاذ بلاده ، فعمل مع السياسيين والثوار الفلسطينيين للسعي لوقف الهجرة اليهودية لفلسطين ، ومنع دخول المهاجرين اليهود أو أي أسلحة

لهم إلى فلسطين ، وكان يعمل مع زعيم فلسطين " الحاج أمين الحسيني " ومع المناضلين في كل مدن فلسطين الكبيرة مثل القدس ، نابلس ، طولكرم ، حيفا ، عكا ، غزة ، عسقلان ..

كم مظاهرة قادها خالد أو شارك فيها ؟ كم لقاء جماهيري لرفض الإحتلال والهجرة اليهودية قام به خالد ؟ كم لجنة للمقاطعة والعصيان ضد الإنجليز أنشأها خالد ؟ كم اجتماع مع زعماء الثورة والثوار عقده خالد؟

كان دوره كبيراً ، بحيث لم يستطع حتى حضور زفاف أخيه "فهيم" على ابنة عمه "هدى" ..

بعد مدة ، وعندما سافر الحاج أمين الحسيني وعدد من القادة السياسيين والثوار إلى العراق ، وذلك لدعم الثورة وتدريب الثوار ، سافر خالد معه ، فقد كان ساعده الأيمن، لوطنيته من جهة ، وتمكنه من اللغة الإنجليزية من جهة أخرى.. وعندما عادوا إلى فلسطين ، كان استقبال الشعب لهم عارماً ، فأقيمت الأفراح ومهرجانات الاستقبال في كل بيت فلسطيني وفي المدارس والجوامع والقاعات في طول البلاد وعرضها.

وتألق بيت فهيم في البيارة بمصابيح الكهرباء والزينة بعودة زعيم فلسطين وخالد ..

بكرية تتزوج

عائلات يافا معروفة لبعضها البعض ، صحيح أن يافا هي " أم الغريب" فأي شخص غريب عن عائلاتها الأصلية، يعيش فيها بسهولة ويسر ، تحتضنه وتحنُّ عليه كأنه ابنها ، وصحيح أن معظم سكان فلسطين نفسها كانوا يحلمون دوماً بالسفر إلى يافا ، ورؤية بحرها الجميل والتنعم برمل ساحلها الناعم .. وصحيح أن الكثيرين من سكان المدن العربية مثل بغداد والقاهرة ودمشق وعمان ، وبيروت ، كانوا يحبون القدوم ليافا للتسوق في أسواقها، والتمتع بحضارتها وتطورها الثقافي، ولكن عائلاتها الأصلية كانت تعرف بعضها البعض . تلك عائلة الشيخ شعبان ، وعائلة القليوبي ، وعائلة القولاغاصي ، والقمبرجي ، والدباغ ، والعزوني ، وعبدالرحيم ، والدجاني ، والحجاج ، وبيدس ، والسعيد ، وهيكل ، والدرهلي ، وشهاب الدين ، وسكجها ، والحاج عبد وغيرهم الكثير....

وكانت العائلات المسيحية تقارب في العدد العائلات المسلمة.. تلك عائلة موندو، والجلدة،وجديّ ، وعيسى ، وغندور، وغرغور، وإليا ، وعودة ، والخوري ، ولم يكن هناك فروق في العادات والتقاليد بين المسلمين والمسيحين.

من أهم مُلاك العقارات في يافا ، " الشيخ عبدالله العزوني "
كل قرش يجمعه ، يضعه في الحَجَر ، فيبني البيوت ويرفع الأسوار
ويضيف الطوابق ، طابقاً وراء الآخر،يسكن ، ويُسكّن أولاده ،
ويؤجر للغريب . يؤمن أن الحجر أهم من الذهب والنقد ، ولا
يكبر عنده ولد أو بنت إلا ويؤمّن له البيت ، حتى قبل أن يتأهل ،
أي قبل أن يتزوج .. فالبيت أهم من الزواج ويأتي قبله ...

وقبل أن يكبر ابنه محمود ، بدأ يعد بيته ، ليكون جاهزاً
عندما يطلب الزواج ..

ولكن محمود الفتى ذا الأحد عشر عاماً ، كان كثير اللعب في
الساحات ، وذات يوم هبّت عاصفة هوجاء ، أثارت الرمال في
وجه محمود فامتلأت عيناه بالرمل ، وبدأ يفرك عينيه بيديه.
وعاد إلى المنزل ، ولا يزال الرمل يملأ عينيه وهو يفركهما
بيديه، وأخذ ينادي على والدته ، وهي قربه ولا يراها .. وضجت
العائلة وخاف الأب على ابنه الوحيد ، وحمله إلى الطبيب ، ولكن
العينين كانتا قد تشققت قرنياتهما ، ولم يعد بالإمكان علاجهما ،
وما هي إلا أيام حتى فقد الطفل بصره نهائياً ، سافر به والده
إلى مصر للعلاج ، ولكن دون جدوى. مصر التي كانت الرحلة
إليها متعة لأي شخص ، كانت هماً وغماً لهذه العائلة الحزينة ،
فكيف يفقد وحيدها بصره وتنعم العائلة بالهناء والحبور...؟!

وكبر الولد ، وقوي عوده ، وقويت شخصيته ، وطلب الزواج.. وكأن "بكرية" كانت بانتظاره ..كانت فتاة بسيطة ، يتيمة ، متوسطة الجمال ، إذا جلست قرب أختها هدى مال الميزان لصالح أختها لحسن طلتها وطولها ونضارة بشرتها .. وتقدم لها هذا العريس ، من عائلة معروفة ولها من العمارات والعقارات والأراضي الزراعية ، ما يجعل أي عائلة تتمناه ، ولكنه كفيف .. فكيف تتزوجه وتعيش معه العمر كله ؟

أيام وتمّ الزواج ، وأقيمت الأفراح،وما هي إلا أشهر حتى كان على يدي "بكرية" البنت البكر قبل أن تكون أختها قد أنجبت بعد!! فربنا هو الذي يعطي ويمنع ، ويرزق ويقدر ، وهو على كل شيء قدير ..

خالد في السجن

عُرض على فهيم العمل بوظيفة "محترمة" في دائرة الأراضي والمساحة ، كونُه قد درس "المساحة" وهو خبير بالأراضي ووضع حدودها ، كما أنّ له معرفة جيدة بالمدن والقرى الفلسطينية ، ويافا تحديداً .. والأهم من هذا وذاك أنه يتقن اللغة الانجليزية ..وهذه الدائرة ، التابعة لحكومة

الإنتداب البريطاني ، كانت تتطلب من الموظفين فيها، أن يتقنوا اللغة الإنجليزية .

كان على فهيم إعالة عائلته وزوجته وشقيقه الذي يدرس في القاهرة ، وأن يدعم شقيقه في النضال . والوظيفة الحكومية تؤمن الراتب الثابت المجزي ، والمركز الرفيع ..

اختلى الأخ خالد بأخيه فهيم .. قال .. سنمنع التجار من بيع محصولاتهم الزراعية سنمنع الصيادين من صيد السمك، ونقفل المحلات التجارية في الأسواق . وسنوقف العمل في الدوائر الحكومية والمدارس..زعيم فلسطين الحاج " أمين الحسيني" والقادة السياسيون في طول البلاد وعرضها قرروا إعلان الإضراب العام ومقاطعة حكومة الانتداب الانجليزي.. فماذا نحن فاعلون ؟

لم يكن من السهل على فهيم الالتزام بالإضراب ، وإيقاف أعماله التجارية والزراعية والوظيفية ..فهو مسؤول الوقف الخيري من محلات وأراضٍ ، وعليه تأمين إيراد لكل المستفيدين من الوقف، وأهمهم زوجته وأختها بكرية ..وهو المسؤول عن تصريف منتجات البيارة ، خضارها وزهورها وبرتقالها ، وحتى دواجنها وحيواناتها ... وهو الموظف في ساعات الصباح في دائرة الأراضي والمساحة ، ويخشى إن التزم بالإضراب أن يفقد وظيفته .. بيته بحاجة إلى المزيد من النقود ، وأخوه في

الأزهر في القاهرة يطلب هو الآخر مزيداً من النقود لدراسته وإقامته .. والثوار يطلبون الدعم المادي لشراء الأسلحة للدفاع عن أراضيهم وبياراتهم .. بيارته بالذات بحاجة إلى أكثر من حارس ، لحماية أطرافها من هجوم اليهود عليها..من سيؤمن كل ذلك وكيف ستسير الأمور يا تُرى ؟

والتزم جميع سكان فلسطين بالإضراب ، التزموا بتسليح الثوار ، وامتلأت السجون بالوطنيين الأحرار ، واعتقل خالد ورفاقه وزج بهم في السجون : ينقلونهم من سجنٍ إلى سجن. ولمّا علم الإنجليز أن السجناء يقومون بدورهم النضالي من داخل السجن ، قاموا بنفي قيادات الثوار إلى خارج فلسطين كلها ، إلى جزيرة بعيدة تدعى سيشل في المحيط الهندي ، مقابل الساحل الإفريقي وجزيرة مدغشقر ودولة الصومال تحديداً. نفى الإنجليز خالد وزعماء العمل السياسي الفلسطيني إلى هذه الجزيرة القاحلة التي لا يسكنها أحد ، والمليئة بذكريات زعماء عرب آخرين كانوا قد نفوا إليها من قبل ، أهمهم زعيم مصر "أحمد عُرابي" وصحبه .. فهؤلاء الإنجليز وبعد أن استولوا على هذه الجزيرة ، أصبحوا ينفون إليها كل من يعارض سياستهم الاستعمارية...

في عام ١٩٤٧استعدّ الإنجليز لترك فلسطين ، ولكنهم وقبل تركها كانوا قد زرعوا فيها العصابات الصهيونية المدجّجة

بكافة أنواع الأسلحة ، بينما حرّموا على العرب فيها اقتناء السلاح، حتى السكاكين !! وعندما أفرجت الحكومة الانجليزية عن الزعماء السياسيين في المنفى ، كان ذلك متأخراً جداً ، فقد استولت العصابات الصهيونية على فلسطين وتم تهجير أهل يافا وأقارب خالد من بيوتهم وأراضيهم ..

إنهاء الإضراب

ضاق الوضع الاقتصادي على أهل فلسطين ، وتعطلت أعمالهم خصوصاً طبقة العمال "والعتالين" . وفي أسفل الدرج ، وخلف الباب الرئيسي وضع "فهيم" برميلين كبيرين: واحد للسكر والآخر للطحين ، كانت هدى مسؤولة عنهما ضمن مسؤولياتها الكبيرة في البيت . ولا يمضي يوم إلا وتغرف منهما لمن يطلب طحيناً أو سكراً . ولا يمضي يوم إلا وتتبادل مع الجيران والأقارب ما لديهم من لحم خروف أو دجاج أو بيض أو خضار..فإذا توقف البيع بسبب الإضراب العام ،فهناك المبادلة بين الجيران والأقارب..فالإضراب يجب أن ينجح ..

وبعد أشهر، تدخلت الدول العربية والزعماء العرب لإنهاء الإضراب ووقف معاناة الناس ، وطمأنة الفلسطينيين بأنهم سوف يعملون جاهدين على إلغاء وعد بلفور ووقف الهجرة

اليهودية ،وأرسل الزعيم " الحاج أمين الحسيني " لأهل فلسطين رسالة لوقف الإضراب فتلقاها أهل يافا بالحماس الشديد..صحيح أنهم صبروا ،لكن للصبر حدود.. وعلى الحياة أن تعود لمجاريها ..على الشباب أن يعودوا لأعمالهم ، والطلاب لدراستهم ، والعمال لمحالهم والصيادين لصيدهم.

وعادت الحياة ولكن ليسَ كما يجب ، فالحرب العالمية الثانية كانت على الأبواب ..ومن ثورة لثورة ، ومن حرب لحرب ، ومن مصيبة إلى مصيبة كانت تمضي الحياة بهدى وعائلتها .

لقد استمر الإضراب – عام ١٩٣٦ – ستة أشهر كاملة ، التزم فيها الشعب بما قرره زعماؤهم ، فلا بيع ولا شراء ولا مدارس ولا دوام في الدوائر ، فقط سمح للطوارئ في المستشفيات "وأصحاب الأفران " لخبز الخبز ، وبعض الأمور المهمة لحياة الناس .

زغرودة أم حسن

أنجبت هدى البنت وراء البنت .. وكانت بكرية أختها تنجب البنات دون الذكور أيضاً.. هذه تنجب بنتاً وتلك تنجب بنتاً أخرى .. وستّهم أم حسن لا تعرف كيف توزع حزنها وأسفها على الأختين . كان الاحتلال والانجليز وهجرة اليهود في كف

أم حسن ، وفي الكف الأخرى " بنات" هدى وبكرية .. فمتى يرزقهم الله بالذكور . أنجبت كل منهما ست بنات ولم يأتِ الذكر بعد .. يا الله : أنت ترزق من تشاء الذكور وتهب من تشاء الإناث ، وتجعل من تشاء عقيماً ، فلا تحرم حفيداتي اليتيمات " الولد" الصبي:الذكر، ليكون لهما عوناً في هذه الحياة .. يارب أنت الرزاق الوهاب فارزقهما الصبي أكحل به عيني قبل الممات .

ظلت أم حسن وفيّة لحفيدتيها ، وفي تلك الليلة ، وقفت البنات ذوات الأعوام العشرة والتسعة والثمانية والسادسة والأربعة من العمر ، قرب ستهم أم حسن ، يدعون معها أن تنجب أمهن ولداً. قالت ستهم : اقعدوا يا ستي يا حبيباتي أدعوا الله أن يرزقكن وأُمكن ولداً ..فدعاء الطفلات الصغيرات مجاب ... لم تكن الصغيرة ذات العامين تفهم الأمر،ولكنها جلست مع أخواتها وهن يدعينَ الله أن تقوم أمهن بالسلامة وتنجب أخاً لهن ..

وفي منتصف الليل ، خرجت أم حسن إلى الشرفة وأخذت في إطلاق الزغاريد الواحدة تلو الأخرى ، تدير وجهها إلى كل الجهات وتزغرد .. وأضيئت بيوت الجيران وخرج أهل الحارة بمن فيهم العمال والحراس ، وانطلق " فهيم" وراء العجوز يسكتها ويدخلها من الشرفة ، فقد علم الجميع أن الصبي وصل، وأن هدى قد أنجبت الذكر المطلوب ..

وامتلأت البراميل بالطحين والسكر ، وذبحت الخراف ووزع اللحم والأرز على الغريب والقريب ، وأقيمت حفلات "المولد" وقراءة القرآن ، فساعات الفرح في حياة الفلسطينيين كانت قليلة ، واغتنام الفرص للفرح كان يُنتزع انتزاعاً .. وسافر الأب إلى مصر بالقطار من يافا إلى القاهرة ، وأحضر الهدايا والألعاب لبناته ولمعارفه "وصَمَدتْ" البنات الكبيرات العرائس الحلوة في غرفهن وعلى أسرَّتهن ..

وكان لبنات بكرية النصيب في تلك الهدايا ، فهدى لم يكن يهنأ لها بال ، إلا إذا شاركت أختها بسعادتها وهنائها ...

الانتقـال

في صباح يوم ١٩٤٧/٩/١ ،دخل فهيم متجهماً على زوجته: قال : لقد نقلوا وظيفتي من يافا إلى الرملة وسننتقل خلال أيام.. فماذا تقولين ؟

صدمت هدى .. فكيف ترحل إلى الرملة ؟ ولمن تترك بيتها؟ وكيف ستبتعد عن أختها ، وستها أم حسن من سيرعاها في شيخوختها ؟ ومدارس البنات .. فالكبيرة متفوقة في دراستها وكذلك الثانية .. والثالثة على الأبواب لدخول المدرسة .. والمدرسة قريبة ، يذهبن إليها سيراً على الأقدام، وجميع المعلمات يعرفن بناتها ويعاملنهنّ أحسن معاملة، فكيف سترحل

إلى الرملة؟..وهل سيكون هناك مدارس بكفاءة مدارس يافا ؟ يافا عروس البحر..يتركونها إلى الرملة ؟ صحيح إنها لا تبعد إلى الشرق الجنوبي من يافا أكثر من بضعة كيلومترات وصحيح إنها كانت عاصمة فلسطين قديماً أيام حكم الأتراك ، ولكنها مدينة لا بحر فيها ولا ساحل .. فكيف ستكون الحياة فيها ؟

كان الانجليز قبل عام النكبة يحاولون فصل الدوائر الحكومية إلى قسمين : قسم للموظفين العرب ، وقسم للموظفين اليهود ، وذلك تمهيداً لتقسيم فلسطين ، ولذلك أقاموا دائرة الأراضي والمساحة في الرملة للموظفين العرب ، ونقلوا إليها فهيم ، وأنشأوا أخرى لليهود في تل أبيب ، كانت نواة للدولة اليهودية ودوائرها الرسمية.

قبل سفرها وأولادها ، وبعد أن ودعت هدى ستها أم حسن، أسلمت أم حسن الروح .. نامت ليلتها تلك ولم تستيقظ ..هل ساءها أن تسافر حفيدتها الغالية وتتركها ؟

في مقبرة يازور أعدَّ فهيم القبر " لأم حسن " كانت عزيزة عليه ، فهي التي راقبت حبّه لابنة عمه وحفظت سرّه .. وهي التي رعت ابنة عمه وحنت عليها وعلّمتها وألبستها .. كانت بمكانة الأم والأب لها ..في دراستها أوتعليمها قراءة القرآن. وهي التي تابعتها بعد الزواج وبعد الإنجاب وكانت تخافُ عليها

من أي نسمة .. وها هي تودع الحياة قبل أن تسافر حفيدتها إلى الرملة..

في مقبرة "يازور" أعدّ فهيم القبر واهتم بمكانه وبنائه.. اختار مكاناً جيداً ، وقال في نفسه : كانت تحب الحياة " وشمّة الهواء" ، وسأعمل لها قبراً ملائماً على متسع من الأرض وعلى شارعين !! بنى لها القبر ، " فستقية " غرفة مرتفعة عن الأرض ولها طاقة ، كأنها شباك يُقفل بالإسمنت حسب وصيتها ..

في تلك الأثناء ، ولحسن حظ هدى، كانت ابنة بكرية الكبرى قد تزوجت وهي بعد في الرابعة عشرة من عمرها وانتقلت للسكن مع زوجها إلى اللد : اللد المدينة الأقرب إلى الرملة ، فأحست الأختان أن انتقال هدى إلى الرملة سيكون فيه جانب ايجابي فقد تكون أقرب إلى البنت حديثة الزواج!!

ولكن القدر كان يخبئ لكلٍ منهما أمراً آخر ...

الرحيل ثمّ الرحيل

أُهملت البيارة .. فخالد في المنفى مع قادة الثورة .. وفهيم في الرملة في وظيفته .. وأحمد بعد أن أنهى تعليمه في القاهرة، عمل بدائرة الأراضي والمساحة ، في شمال فلسطين، وحُراس

البيارة انتقلوا مع الثوار إلى الجبال للاختباء عن أعين الجنود الانجليز..والانجليز هدموا شارع اسكندر عوض وجزءاً كبيراً من يافا القديمة انتقاماً من الثورة والثوار ...وميناء يافا أضرب عن العمل لاكتشاف العمال العرب العاملين فيه كميات من الأسلحة مهرّبة لتسليح المهاجرين اليهود... والسفن اليهودية تفرغ حمولتها من المهاجرين اليهود في شمال يافا وبعيداً عن أعين العرب ، فينتشر المهاجرون في ضواحي يافا ، ويبنون بين عشية وضحاها مساكن لهم .. وحكومة الانجليز تسهل لهم السكن والبناء والتسليح وتحرمه على العرب .. والمشاكل تتفاقم..ومدينة جديدة يهودية تبنى شمال يافا كان اسمها تل الربيع ، فسمّاها اليهود تل أبيب..والمسلحون اليهود يهاجمون يافا من تل أبيب ، والثوار يطلبون المعونة من الدول العربية لمدّهم بالسلاح للدفاع عن مدينتهم ، والعرب يَعِدونَ بذلك ولا يوفون..والأوضاع تتدهور .. وحامية يافا تصرخ ولا من مجيب.

في الرمله ساء الوضع على العائلة أكثر وأكثر ، فالبيت "مطرف" في طرف البلدة ، ولا جيران ولا معارف ، والجنود الانجليز يروحون ويجيئون من حديقة المنزل ، باتجاه "الكوبانيه" مقر قيادتهم .. وفي الليل تشاهد تدريبات عسكرية مستمرة ، يؤكد الجميع أنهم من اليهود يتدربون على استعمال السلاح، حركة عسكرية مستمرة .. والبنات لا يستطعن الخروج

أو الدخول إلى المنزل .. فكيف يمكن حماية الزوجة والبنات في مثل هكذا موقع ؟ .

كان الأمر صعباً .. وتزايد تذمر هدى من الوضع .. البنات يا فهيم .. البنات .. كيف بدنا نحميهم كبروا ، أصبحوا صبايا، كيف نحافظ عليهم ؟ .

هل كان فهيم وهدى يهربان من قدر إلى قدر ؟ هل كانا يهربان خوفاً من الإنجليز واليهود ، أم أن وظيفة الأب كانت تسمح له بالتنقل بسهولة بين مدن فلسطين ؟ حمل فهيم أثاث بيته – من كراسٍ وطاولات وأسرّة نوم وفرشات وسجاد وخزائن وأدوات مطبخ ، حتى المؤن الغذائية الكثيرة التي جمعها خوفاً من الحرب ، وانتقل بها من الرملة إلى رام الله، هل كانت رام الله فعلا مدينة أكثر أمناً من يافا أو الرملة ؟ أم أن الله يُسيّر الإنسان ولا يُخيّره ؟؟

حملت الشاحنة "العفش" ، وجلست البنات قرب "الأثاث" وفوقه يدعمنه ويثبتنه خشية السقوط .. وجلست الأم في المقعد الأمامي للشاحنة تحتضن ابنها الصبي وقد أصبح عمره سنتين وابنها المولود الجديد ، ولم يكن قد مضى على ولادته بضعة أشهر..كانت الطريق وعرة والصعود إلى رام الله يزيد على البنات العبء لحماية الأثاث من السقوط، وكان منظر الجبال العالية والوديان يشعرهن بالخوف الشديد،وهنّ لا يعرفن من

الدنيا إلا يافا السهلة المنبسطة والأراضي الخضراء الجميلة. ولم يمض على وصولهم إلى رام الله شهر أو اثنان ،حتى سقطت مدينة يافا وقتلت حاميتها !! وأجبر أهلها الباقون على الرحيل منها ..

لم يعرف أحد أين رحل الآخر!

أمسكت بكرية بيد بناتها من جهة، وبيد زوجها الكفيف من جهة ، وانطلقت لا تدري إلى أين تتجه .. هل يكون الأمان عند ابنتها في اللد ؟ أم عند أختها في رام الله ؟ جارهم صاحب المراكب البحرية سافر إلى الإسكندرية في مركبه ، وأمّنهم على بيته لحين عودته .. وعمة زوجها سافرت وأبناؤها الصغار إلى سوريا ، على ظهر مركب غادر ميناء يافا وعليه مئات النساء والأطفال .. والجيران الآخرون غادر أبناؤهم وزوجاتهم إلى غزة في الجنوب .. بعضهم بقي في غزة ، وبعضهم - كما علمت بعد ذلك – غادروا بشاحنات إلى مصر .. والد زوجها الشيخ عبدالله رفض وبشدة أن يغادر بيته وبياراته وعقاراته التي بناها بيده طوبةً طوبة وحجراً بحجر .. قال لها إرحلي يا بنتي مع زوجك الكفيف ، وأنا سأبقى هنا في أرضنا ورزقنا .. وسنتصل بك حين تهدأ الحرب وتعودين إلى بيتك إن شاءالله معززة مكرمة .. لاتخافي على الأثاث المهم أن تصلي ابنتك في اللد .

أكثر من نصف سكان يافا-المدينة الأكبر في فلسطين والتي كان عدد سكانها يزيد عن مائة وعشرين ألف نسمة -تركوها في أكبر هجرة قسرية ، مشتتين بين الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب عبر البحر..كلهم تركوا بيوتهم وبياراتهم تحت القصف الشديد والدمار والموت من جهة، وتحت الأمل الكبير بدخول الجيوش العربية لنصرة الثوار الفلسطينيين من جهة أخرى ...

لما وصلت بكرية وبناتها وزوجها إلى اللد..كان الجميع يؤكد وصول القوات العربية والجيش الأردني إلى اللد لحمايتها، وقف الرجال في ساحة اللد يصفقون للجيش الأردني ذي الحطات الحمراء ويستقبلونه بالزغاريد والهتافات .. ولكن الجيش الأردني لم يكن جيشاً أردنياً .. كان الجنود يتحدثون بلكنة غريبة ويوقفون الرجال على الجدران ، ويطلقون عليهم النار.. كانوا جنوداً يهوداً بلباس الجيش الأردني لخداع الفلسطينيين !! وانكمشت بكرية وبناتها وزوجها بزاوية الدار وفتحت رندة - صاحبة الدار - الباب لعسكري ظنته فِعلاً عسكرياً أردنيًا ومعه آخر لم يتكلم .. قال لها : يللّا خبيبي أُترك الدار أنت وأهلك .. وأعطينا المفتاخ ..

بكل الدهشة التي في الدنيا ، وكل العجب وكل الاستغراب،سألته:كيف؟ولماذا ؟كيف أترك داري أنا وأهلي ..

وأين نذهب ؟ هذه داري وهذا أثاثي ..

كان أثاثها لا يزال جديداً ، فهي عروس لم يمض على زواجها أكثر من سنة .. غرفة نومها جديدة اشترتها من أحسن محلات يافا .. غرفة طعامها جديدة لم يجلس عليها بعد، الضيوف أو الأقارب .. البرادي لا تزال على حالها ، غطاء السرير ، أهداها إياه " سلفها " : أخ زوجها ، وقد حضر مؤخراً من أمريكا وأهداها إياه..كيف؟ كيف تترك جهازها وملابسها التي خاطتها للعرس، الفساتين الطويلة والقصيرة .. فساتين السهرة وبدلات النوم..أحذيتها ؟ كانت كل عروس في فلسطين تتجهز جهازاً كاملاً جديداً بدءاً من الملابس الداخلية وحتى الأحذية،كيف تترك كل هذا ؟ وأين تذهب ؟ جمعت شجاعتها وقالت له ، ولكن هذه داري فكيف أتركها ..؟

قال الجندي اليهودي بكل بساطة : روخي خبيبي إلى عمان إلى الملك.. فنحن اشترينا هذه البلاد وهذه الدور وهذا العفش.. دفعنا عن كل فرد منكم ديناراً ونصف .. روخي وسوف يعطيك الأكل والخبز والمأوى..

وأتبع كلامه بعبارات من النار ، وصوبّ هو والجندي الآخر البنادق عليها ، فانكمش الجميع على بعضهم بعضاً ، ثم فتح لهم الباب وأمرهم بالخروج ، فانصاع الجميع للأمر ..

كان الفصل صيفاً ، والشمس ضُحىً ، فأمسكت البنت بيد أبيها وحماتها – والدة زوجها – وأمها وأخواتها وانطلقت إلى

حيث أشار الجندي اليهودي!! ويا للحيرة !!.

لم يكن زوجها في البيت ، فقد تم تجميع الرجال في ساحة المدينة .. وظل اليهود المسلحون يطلقون الرصاص على النساء والأطفال والشباب،لترويعهم وتخويفهم حتى يغادروا بيوتهم بسرعة أكبر ، ويتجهوا إلى طريق واحد إلى الشرق .. إلى خارج اللد باتجاه الأردن..

في أثناء الطريق وكلما ضعف الناس ، وتكاسلوا عن المشي السريع ، كانت طلقات الرصاص تطلق عليهم من الخلف ، فيسقط من يسقط ويسرع الباقون بالمشي .. وبازدياد قوة الشمس ، ازداد عطش الناس .. لم يأخذ أي من أهل اللد معهم جرعة ماء أو كسرة خبز .. أخرجوهم من بيوتهم بسرعة هائلة فلم يأخذ أحد " زوادة " للطريق ، واستمر الناس بالمشي وازداد التعب والعناء .. بعد ساعات لم تستطع حماة رندة مواصلة السير، حملها ابنها الشاب فلم يستطع المسير .. وتشاور الجميع بأمر الأم العجوز .. كيف نتركها وأين ؟ وارتمت العجوز تحت جذع شجرة ، وأسلمت أمرها لله وحده .. وواصل الجميع المسير.. فالركب لا ينتظر أحداً...

على طول الطريق ، وعلى مدى عمرها ، ويمكن بعد وفاتها ، سيظلّ السؤال التعجبي في ذهن بكرية ورنده ومحمود والأولاد وأهل اللد .. من باع من ؟ ومن اشترى من ؟ ولماذا ؟

استمر الشباب والنساء والأطفال والرجال بالسير .. صعوداً أحياناً وهبوطا أحياناً .. يتعثرون بالحجارة أحياناً أو تضغط أحذيتهم على أرجلهم أحياناً .. ولكن العطش كان سيد الموقف بلا منازع.

في ذلك المساء ، وعندما وصلوا إلى أول قرية تصادفهم وعندما شاهدوا أول بئر ماء ... كانت الكارثة .. لقد هجم الجميع على شربة الماء ....!!

كيف يُذلُّ المرء أمام عطشه ، وأمام جرعة ماء؟

كيف يتوحش المرء أمام عطشه وتتوحش مشاعره ؟.. هل يعطي الشربة لأمّه أو زوجته أو ابنه أو لنفسه ؟ من له الحق في الجرعة الأولى؟؟

المفـاجـأة

دبّر الناس حالهم ، وناموا تحت الشجر ، قرب بيوت أهل القرية التي وصلوها ... أعطاهم أهل القرية بعض الخبز والزيتون والماء ... وفجأة وبعد أن ارتاح أحد الشباب وشاهد حماراً يجره صاحبه ، طلب من صاحب الحمار أن يستأجر الحمار لمدة ساعتين فقط ، وأخذ الحمار وعاد إلى الطريق التي

وصل منها .. عاد إلى أمه العجوز التي بقيت تحت الشجرة .. وصلها وقد دبّت فيها الروح بعد زوال التعب... وجدها جالسة وحدها على قارعة الطريق ، فحملها وأجلسها على الحمار وعاد بها إلى الجموع ، الذين هللوا وكبروا وقد رأوها حيّة ترزق .

في الطريق مالت العجوز على أذن ابنها وقالت ..أتدري يا بني ماذا يوجد في هذا الحزام الذي ألبسه على خصري ؟

لم يكن يدري ...

قالت فيه أربعين ليرة ذهب ، كنتُ أحتفظ بهم لمثل هذا اليوم..

كانت هذه الليرات الترياق الذي سدّ رمق العائلة في شتاتها..

وياله من ترياق .. ويا له من شتات ..

وظلّت بكرية تردد أين رام الله .. وأين بيت أختي هدى ؟

طوال الطريق كانت بكرية تتطلع للوصول إلى بيت شقيقتها هدى في رام الله . وعندما وصلت إلى رام الله ، كان الحال لا يسر عدواً أو صديقاً ، في ساحة المنزل عشرات بل مئات من المهاجرين يجلسون على التراب يفترشون الأرض ويلتحفون السماء .. حال أصعب من حال ... واستقبل فهيم وهدى بكرية وأفراد عائلتها .. كان الحمام الساخن العلاج الأول لتعب الجسد ثم كان الفراش والطعام .. وبعدها بدأ التفكير بالملاذ الآمن ..

وقليلاً قليلاً كانت العائلات تنسحب إلى أماكن أفضل من العراء.. بعض العائلات ذهبت إلى المدارس وبعضها ذهبت إلى الجوامع ، بعضهم سأل عن أقاربه فسعى إليهم .. ولكن الأغلب ذهب إلى عمان ، حيث وكالة الغوث "الاونروا" تسجل اللاجئين في قوائم وتحصيهم وتعطيهم بطاقات لاجئين : "كرت مؤن" ، كي يتمكنوا من أخذ حصص تموينية من الزيت والطحين والسكر والجبنه والتمر ، لتعينهم على الحياة ...

قالوا إن وكالة الغوث " الأُونروا" ستعين اللاجئين لحين عودتهم إلى ديارهم .... ويجب أن يسجل بها كل لاجئ ليحفظ هذا الحق بالعودة .

وابتدأت رحلة العذاب ..

حاول فهيم أن يعرف أين إخوته وأخواته وعائلاتهم .. فلم يفلح في ذلك ، لقد هاجر واحد من إخوته إلى سوريا مع زوجته وأبنائه .. وهاجرت أخواته البنات إلى مصر مع أزواجهن ، وهاجر أخوه من شمال فلسطين إلى مدينة الزرقاء في الأردن، وعاد أخوه خالد من المنفى إلى لبنان ..كل الأقارب تشتتوا في الأقطار العربية المجاورة..ولم تعد وسيلة الاتصال بينهم والاطمئنان عليهم ممكنة .. وهو يحسُّ أن عليه مسؤولية كبيرة تجاههم.. فما العمل ؟

سنوات الضياع

هي سنوات الضياع بلا شك ، يتمسك المرء بمن هم حوله، خشية أن يفقدهم هم الآخرين ، ويستمع إلى أخبار الأقارب الأبعد عن طريق الراديو ورسائل الشوق والتطمين ... يموت الواحد في الغربة فلا يجد من يواسيه أو يعزّي به .... الغربة، الغربة ، الغربة :الغربة عن الوطن عن البيوت عن الأهل عن الجيران ...

لم تكن هدى ولا بكرية ولا فهيم ولا أي فرد في الدنيا يتصور أن يؤول المآل إليه هكذا .. مدرسة الزهراء التي كانت البنات يذهبن إليها بالكلسات البيضاء والمريول الأسود والقبة البيضاء المنشّاة ، يصطففن في الساحة ويدخلن الصفوف على أنغام البيانو الحي تعزفه معلمة الموسيقى ، أصبحت ذكرى تشتاق إليها البنات ، وهاهي الأيام تمر ولا مدرسة ولا تدريس ...الأولاد بالشوارع ، والرجال دون أعمال .. والأحاديث عن اللجوء هو حديث الجميع ..

الزهور التي كانت تملأ البيت كل يوم من أرض البيارة ، لم يعد يحلم بها أحد في المنزل ..

البرتقال الذي كان في أكياس الخيش (أبو خط أحمر) يملأ بيوت الناس ، لم يعد يُرى إلا بالكيلو أو الاثنين ، إذا وجد ..

مصيف روبين ورمله الناعم مثل السميد أو السكر، وخيم الأعياد الملونة المزركشة المليئة بالسعادة والفرح ،استبدلت بخيم اللاجئين ، والحرامات السوداء ،وعلب السردين ،وطحين المؤن ،والسكر الأحمر.

كيف يتأقلم الإنسان وكيف يتعايش مع الأمر الواقع ، وكيف تسير الحياة وتطلع الشمس وتغيب وكأن كل شيء على ما يرام؟؟..

كان على بنات هدى مسؤوليات جساماً .. أقلها حمل الحليب يومياً من مسافة بعيدة ومشياً على الأقدام إلى المنزل ... وكان على بنات بكرية مسؤوليات أصعب .. لقد كن يتقاسمن رغيف الخبز والفرشة الرقيقة والغرفة الواحدة والحمام الواحد . كم سنةً استمر الحال ؟ ومتى استطاعت شراء أرضٍ بعيدة عن وسط عمان ، ليقف الأب الكفيف يراقب بناءها بنفسه ؟..

كل لبنة وضعت فوق أختها تحسّسها الأب وتأكد من حسن منسوبها ، ودقة استوائها .. كل "مدة" أرض و"صبة" سقف و"فتحة" شباك و"قمط" باب ، أشرف عليها محمود بعناية فائقة .. وكلما تجمع لدى العائلة بضعة قروش كان البناء يتّسع لغرفة ملاصقة ومطبخ وحمام ..تماماً كما كان أبوه يفعل في يافا ، لكن على مقياس مختلف تماماً ،"فالمصاري" شحيحة، شحيحة ، تجمعها بناته وزوجته من عرق جبينهن في الخياطة

لأهل الحي ..وفُجع الجميع بوفاة الجد الحبيب في يافا التي لم يتركها عندئذ..رفض أن يترك عقاراته وأراضيه.. فأصابه جندي اسرائيلي برصاصة في رجله ، نقل بعدها إلى غرفة في حي المنشية حتى مات نسياً منسياً ...

لقد أُجبر الذين لم يتركوا يافا ، على التجمع في حي واحد، وقام اليهود بإنشاء سياج حديدي حولهم ..تماما كما تضع سياجاً حديدياً حول مزرعة الدجاج ، أو حظيرة حيوانات ، حتى الذين لهم بيوت – وهم مالكوها – منعوا من الاقتراب منها وحوصروا في هذا الحي ،خشية أن يمانعوا أو يعارضوا أو يقاوموا الاحتلال ، وسكن المهاجرون اليهود في بيوتهم وعلى فراشهم وأثاث بيوتهم ، وأُقفلت الحدود البرية والبحرية والجوية حول فلسطين المحتلة ، ومُنع السكان الفلسطينيون من الاقتراب منها لا جواً ولا بحراً ولا براً ...

لم يكن حديث الناس ، إلا عن الهجرة واللاجئين والبيارات والبيوت التي تركت بعفشها وأثاثها ، والمفاتيح التي حملوها معهم على أمل العودة إليها .. لقد أصبح مفتاح الدار رمزاً للهجرة واللجوء.

كان فهيم يرغب لو بقي في رام الله ، ولم يُسجل مع اللاجئين في عمان مع مكاتب الأُنروا فهو لم يكن لاجئاً فعلاً ، لقد انتقل

عمله من يافا ، فانتقل مع عائلته ، كأي إنسان عادي في العالم ، ويمكنه أن يعود إليها متى شاء كأي إنسان عادي في العالم أيضاً ، فكيف يُسجل نفسه وعائلته لاجئين؟ ولكنه وجد نفسه مضطراً لذلك ، وإلا فلن يكون بإمكانه ، أو إمكان أبنائه العودة إلى يافا أبداً..

وانتقل فهيم أو قل هاجر إلى عمان وسجّل مع اللاجئين .

وعندما افتتحت مدارس عمان صفوفاً للطالبات في المرحلة الإعدادية والثانوية ، وعندما افتتحت مدرسة زين الشرف الثانوية ،كانت بنات هدى أول الملتحقات بها .. فهل هناك أسمى من مواصلة العلم لفتيات كان العلم أساسياً في حياتهن ؟ انتظمت الدراسة، وأبدعت الفتيات ، ولكن صفة اللاجئين ظلت تلاحقهن أينما تحركن...تدخل المديرة أكثر من مرة إلى الصف تسأل : الطالبات اللاجئات يقفن ..فيقفن.. الطالبات اللاجئات يذهبن إلى سكرتيرة المدرسة لتسجيل أسمائهن..فيذهبن ..الطالبات اللاجئات يُحضِرن كرت المؤن.. فيُحضرن.. الطالبات اللاجئات .. الطالبات اللاجئات .. كم كانت هذه الصفة تحفر جرحاً عميقا في نفوسهن ..فيعوضن ذلك بالاجتهاد والدراسة والتفوق ...

الخبران السعيدان

عندما جاء الخبران السعيدان لهدى عن ابنتها البكر "كاملة" لم تسعها الفرحة ..خبر بحصولها على منحة دراسية في الجامعة الأمريكية في بيروت للحصول على بكالوريوس في الرياضيات. والخبر الآخر بتقدم عريس لخطبتها من أهل يافا من الذين هاجروا إلى عمان...

العريس من أهم شباب يافا .. والده " شيخ " كان يُدرّس الطلبة في يافا في "كتّاب الشيخ" قبل الانتداب الانجليزي ، ثم اتجه للتجارة وصار عنده بيارات وأراضٍ وتجارة برتقال، واستيراد مواد غذائية من الرز والسكر والبن والشاي والبهارات، مما جعله من أغنى أغنياء يافا ... كان الشيخ يعلم الأطفال كصدقة جارية لله تعالى ، فأمواله وتجارته وعقاراته لا تأكلها النيران .. وأرصدته البنكية في بنوك فلسطين العربية والانجليزية كبيرة، تجعله يطمئن للحاضر والمستقبل له ولأولاده.. فلما أصبحوا لاجئين أيضاً، وانقطعوا عن أرزاقهم في يافا، شمّر الأبناء الشباب عن أذرعتهم ، واتصلوا بالتجار الذين كانوا يتعاملون معهم ، وبدأوا العمل مجدداً من عمان ، وما هي إلا سنوات ، حتى عادت تجارتهم للإزدهار ، خصوصاً بعد أن أفرجت بعض البنوك العربية والانجليزية عن بعض أرصدتهم المالية ...

الخبران السعيدان نزلا عند الأب والأم ، كجزء من المكافآت التي كان ربنا يكافئ بها عباده الصابرين ، بين الحين والحين ، أو قل بين المصيبة والمصيبة ، فأي الأمرين يختاران ؟..

أما " كاملة " فكان خيارها واضحاً وجلياً ، هذا الشعب الفلسطيني المشرد ، يجب أن يثبت نفسه بالشطارة والعلم... فبعد سنوات الضياع على الطرقات والتشرد وعدم وجود مدارس تناسب المرحلة التي وصلتها في فلسطين ،وانقطاعها عن الدراسة ، وبعد إبداعها وتفوقها عندما افتتحت المدارس في عمان ، فإن الأنسب والأجدر والهدف الأسمى لها أن تواصل تعليمها الجامعي..

أما الأب فكان له رأي آخر تماماً ، أما وقد جاء العريس ابن الحسب والنسب ، فهو يختار الزواج الأستر والأنسب ، والهدف النهائي لأي بنت في عمرها ، ثم إنّ وراءها ست بنات ، على الأقل ثلاثة منهن في عمر الزواج ، فماذا ينتظر ؟.

وتذكرت هدى " الديلجنس " وعربات الكارو في يافا .. عندما كانت صغيرة كان عند عائلة العريس عربات الكارو وعربات الديلجنس..الأولى للخضار والعمال والثانية للعائلات والسيدات الأنيقات والمرفهات..وها هو ابنهم يطلب يد ابنتها "كاملة" فلماذا التردد..؟ إذا عادت البلاد لنا ، وإذا عدنا

للبلاد ، فلن يكون هناك أسعد من ابنتها مع هذه العائلة فلماذا التردد ؟

كم بكت "البنت" على ضياع حلمها بالدراسة ، ولكن بنت خالتها كانت قد سبقتها بالزواج من سنين ، وأنجبت الأولاد وهي لا تزال على مقاعد الدراسة ، فهل يعقل أن يقال عنها "بايرة " أو عانس؟وإذا تأخرت في الزواج ، فسيتأخر زواج أختها "ازدهار" فهل يرضى المجتمع بذلك؟

وتم الزواج .. وإذا كان هناك مقياس لمستوى الرفاه في العادات والتقاليد في الأعراس "عرس عمان وعرس يافا" ، فسيكون المقياس في أدنى درجاته .. فمقياس "رختر" للزلازل أثّر في كل شيء ...

تاريخ وتأريخ وأشعار

تؤرخ الشعوب سنواتها بأحداث مرّت..فتلك سنة الهزّة وأخرى سنة الثلجة،وأخرى سنة النكبة،ثم سنة النكسة ...إلخ

والتاريخ الجمعي للشعوب ، لا يُمحى من صدور الأبناء ، فهؤلاء الأطفال يتأثرون أضعافاً مضاعفة إذا ما تفاعل الأهل في البيت مع المجتمع في القضايا العامة ..

وقد كانت الأعوام "ذات المد القومي" مؤثرة في البيت والمدرسة والمجتمع ، توجت برد العدوان الثلاثي على مصر وتحرير الجزائر .

أما في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، فقد انبرى "فهيم" - مثله مثل كل سكان عمان- لوضع الدهان الكحلي على شبابيك البيت، وإلصاقها باللاصق عدة خطوط طولية وعرضية ، تجنباً لحدوث إصابات جراء تكسير الزجاج من الغارات الجوية الليلية على العواصم العربية . كانت انجلترا وفرنسا و"إسرائيل" قد بدأت هجوماً كاسحاً على مصر بقوات برية وبحرية وجوية،رداً على قيام زعيم مصر "جمال عبدالناصر" بتأميم قناة السويس "شركة عامة مصرية" بخطاب هزّ أعمق أعماق كل إنسان عربي من جهة، وأعمق أعماق دول الغرب الاستعماري انجلترا وفرنسا ، وبالتأكيد إسرائيل من جهة ثانية..

وسرت موجة المشاعر القومية في كل بيت ، في طول الوطن العربي وعرضه ، تأييداً لحق الشعوب العربية بامتلاك مقدّراتها وسيادتها .. ووقوفاً مع مصر ضد العدوان.

وتوقفت الحرب بناءً على موقف الدول الكبرى روسيا وأمريكا اللتين أمرتا بايقاف العداون ، واعتبرالأمر نصراً لمصر ، التي حارب شعبها ، دفاعاً عن قناته ومدنه وأهله .

وحفظت الأسرة كلمات الأغاني القومية ورددتها ليلاً ونهاراً:

اللّه أكبر .. اللّه أكبر فوق كيد المعتدي ..

اللّه للمظلوم خير مؤيد ..

يا هذه الدنيا اطلي واسمعي ..

جيش الأعادي جاء يبغي مصرعي ..

بالحق سوف أرده وبمدفعي ..

فإذا فنيتُ فسوف أُفنيه معي ..

قولوا معي .. قولوا معي ..

اللّه أكبر .. اللّه أكبر .. اللّه أكبر

اللّه فوق المعتدي ...

ولّما تحركت الشعوب العربية لنصرة ثورة الشعب الجزائري على مستعمريه الفرنسيين، ملأ الحماس بيت فهيم وبناته وأبنائه أيضاً.. فالمدرسة والبيت والشارع ، يتحدثون عن هذه الثورة ، وعن قادتها الأبطال وتحديداً "أحمد بن بيلا" و"جميلة بوحيرد" .. وكان جزء من مصروف الطالب يذهب يومياً في صندوق مدرسي لنصرة ثورة الجزائر ، وطابور الصباح يتحدث عن هذه الثورة وواجب دعمها ، والإذاعات العربية تؤكد حتمية النصر في الجزائر.. ولما تكلل نضال أبنائها بالنصر ، أحسّ الجميع : صغاراً وكباراً ، أنهم ساهموا بصنع هذا النصر، وأثر فيلم الممثلة "ماجدة" بدور جميلة بوحيرد بصناعة هذا الإحساس الجميل بالبطولة والنصر ، أضاف عليها الشاعر نزار قباني أبياته الخالدة التي رددها أفراد الأسرة ليلاً ونهاراً :

الاسم جميلة بوحيرد

رقم الزنزانة تسعون

في السجن الحربي بوهران ..

والعمر اثنان وعشرون

عينان كقنديلي معبد

والشعر العربي الاسود

كالصيف كشلال الأحزان ..

كم من الأحداث يقف عندها التاريخ ليؤرخ بها ؟ وكم من الانتصارات من جهة أو الهزائم من جهة أخرى أرخ لها الشعب العربي وحفظها في ذاكرته الجمعية ؟؟.

في الشتات

لما كانت "هدى" ابنة عم لزوجها "فهيم" ، فقد كانت تحس أن أقارب زوجها هم أقاربها ، فهي يتيمة الأم والأب وليس لها إخوة أشقاء.. وستها التي ربتها رحلت الى بارئها منذ مدّة.. كانت تتذكر أشقاء زوجها وعائلاتهم ، فتحس أن المسافة الجغرافية والزمانية بينها وبينهم بعيدة للغاية ..

هل كان الفلسطيني بعد النكبة يستطيع أن يسافر من منطقة إلى أخرى ، ومن قطر إلى آخر مثل باقي البشر ؟ كم استغرق الأمر من سنين حتى يحصل أول لقاء بين الأخ وأخيه ، أو الأخت وأخيها .. وكيف كانت حياة اللاجئ في سوريا أو لبنان أو مصر أو العراق أو ليبيا ؟

حمل فهيم رسالة وصلته بالبريد من سوريا ، وأعطاها لزوجته لقراءتها .. كانت من زوجة أخيه "سعيد" ، تخبرهم فيها عن الوضع الصحي المتدهور لزوجها .. بعد مدّة وصلت رسالة أخرى تخبرهم فيها عن وفاته !! يموت الأخ ولا يستطيع أخوه أن يقف معه في جنازته !! يموت ولا يتقبل عزاءه !! يموت ولا يحتضن أبناءه ليعزيهم بوفاة أبيهم !!..

وعندما استطاع فهيم الحصول على جواز سفر أردني ، سافر إلى دمشق لرؤية أبناء أخيه وعائلته .. ما أصعب الشتات.. وما أقسى الهجرة .. بأقل القليل استطاعت العائلة العيش دون معيل في دمشق .. وبوثيقة سفر تثبت هوية هذا الفلسطيني ، عاشت العائلة حياة صعبة ، لا تستطيع التنقل فيها إلى أي قطر خارج سوريا !!

صحيح أن سوريا احتضنت آلاف الفلسطينيين المشردين من بلادهم، ولكنهم ظلّوا بلا هويّة أو جواز سفر يمكنهم من التنقل إلى خارج سوريا..فهؤلاء اللاجئون في مخيمات دمشق وما حولها ، والآخرون في مخيمات حلب وما حولها، ومخيمات اللاذقية وحمص وغير ذلك،لهم حقوق في كثير من الأمور، ولكن تنقصهم حقوق في أمور أخرى كثيرة .. لهم الحق في الدراسة في مدارس وكالة الغوث أو مدارس الدولة وجامعاتها، ولهم الحق في العمل في مؤسسات حكومية وخاصة، ولكنهم

لاجئون يحملون وثيقة سفر لا تُقبل في معظم البلدان العربية والاجنبية ..

ومع ذلك فالفلسطيني الذي يحمل همَّ قضيته ، انضم إلى أحزاب ظنّ أنها قد تُقرِّبه ولو بوصة إلى وطنه .. وقد التحق أبناء "سعيد" بالأحزاب في سوريا .. هذا مع حزب التحرير، وذاك مع الإخوان المسلمين ، وآخر مع البعث ، المهم تفجير الطاقات السياسية والوطنية علّها تساعدهم في حل معضلة من معضلات حياتهم..

في أول مرّة استطاع "فهيم" السفر إلى دمشق لرؤية أولاد أخيه ، كان هناك إحساس عائلي غريب لرؤية ابن أخ أو ابنة أخ بعد وفاة الأخ ، ولكن جملة ظلّت محفورة في ذهن العم،يحكيها وهو يبكي متأثراً - وإلى مدة طويلة من حياته - نقلاً عن زوجة أخيه :كم من الأيام والأسابيع والأشهر كانت تمر ونحن نغمّس "الخبز الحاف" بالشاي للفطور والغذاء والعشاء بعيداً عن خيرات الوقف وايراداته ، والبيارة ومحاصيلها الزراعية وخيرات يافا وبحرها ومراعيها ..

ولّما كان التعليم مجانياً في سوريا حتى الجامعة ، فقد تخرج الأبناء الثلاثة من الجامعة وعملوا كلٌ بتخصصه .. الطب والأدب والإقتصاد ..بعضهم جلس على مقاعد الجامعة فعلاً، وبعضهم أخذ شهادته الجامعية وهو في السجون السورية ..

كم أكلت السجون السورية من جلد الفلسطينيين فيها !! .

أما الفلسطينيون في لبنان ، فلهم حكاية أخرى تعجز المجلدات عن شرحها .. فلا وثيقة سفر ولا فرصة للتعليم ولا فرص للعمل الحر الكريم .. زاد عليهم العنصرية الدينية ، هذا مسلم سني وذاك مسيحي وهذا شيعي ، وهنا مصطلح " توطين يقلب الموازيين الرقمية للأكثرية الدينية " وهناك مصطلح " أمن المخيمات " وهذا " سلاح المقاومة" وذلك " سلاح الحزبية " .. وهذه مجزرة " مخيم تل الزعتر " وتلك مجزرة " مخيم صبرا وشاتيلا " ، وهذه مؤسسة " صامد " وتلك مؤسسة " الدراسات الفلسطينية " وهناك دور نشر نشطة، تفجر الطاقات الفلسطينية الإبداعية ، وتخرِّج أمثال غسان كنفاني ، وناجي العلي ، وعبدالوهاب الكيالي وكمال ناصر ، وكمال العدوان ، ويوسف النجار وعلي سلامة .. ومئات ممن عملوا للقضية الفلسطينية في كافة المجالات ، إلى ان وصلتهم يد الغدر الإسرائيلية فقتلتهم في بيوتهم أوفي أسرَّتهم ومع عائلاتهم !!

وقد ظلّ الحاج خالد في لبنان لا يستطيع التحرك منها أو إليها، يعمل مع ما تبقى من "قدرة" الهيئة العربية العليا وزعيمها الحاج أمين الحسيني ، بعيداً ، وبعيداً جداً عن فلسطين ويافا ومدنها وقراها .. ولكنه بقي يخدم أبناء فلسطين

في الشتات..

وعندما شارك الحاج أمين الحسيني بدفن الحاج خالد في مقبرة الشهداء في بيروت مستذكراً نضاله ووطنيته ، سواء على أرض فلسطين أو عندما سافر معه إلى العراق ومن ثم إلى ألمانيا لدعم الثورة والثوار،أو في السجن ، أو في المنفى ، ثم هنا في لبنان بعد النكبة، وقف ابنه الوحيد "وليد" فقط يتقبل العزاء ، فلا عزاء حقيقياً للمشردين عن أوطانهم ..

ولم يستطع "فهيم" طوال حياته أن يرى أحداً من إخوته أو أخواته الذين هاجروا الى مصر !! أو إلى أي بلدٍ عربي آخر!!

مجتمع عمان

كان المجتمع في الأردن وفي عمان تحديداً ،مزيجاً من السكان القادمين من مختلف البلدان العربية ، ومن الأثنيات العرقية:البدو العرب ، الأردنيون الذين جاءوا من الجزيرة العربية مع الهجرات العربية إلى الشمال ، الفلسطينيون الذين جاءوا للعمل في الأردن قبل احتلال فلسطين ، أهل الشام الذين استوطنوا عمان للعمل فيها ، حيث الأردن الجزء الجنوبي من

سوريا الكبرى ، وحيث اللجوء من بطش المحتل الفرنسي لسوريا ولبنان ، والمهاجرون الشركس المسلمون الذين هربوا بدينهم من ظلم الروس ضد المسلمين في روسيا ، ثمَّ الأرمن والدروز . كان في عمان مجتمع مختلط ، ثم جاء اللاجئون الفلسطينيون بأعداد كبيرة قد تكون أكثر من عدد سكان عمان ذاتها.. بعضهم سكن الخيام وبعضهم اشترى الأراضي وبنى عليها ، وبعضهم اشترى البيوت وسكنها..

وامتزج سكان عمان امتزاجاً غريباً وسريعاً .. فالشاب السوري أو الأردني أو الشركسي أو الفلسطيني ، للبنت الشركسية أو الفلسطينية أو الأردنية أو السورية .. لم يكن هناك شعور " بالتفرقة " بل "قبول" بالآخر ، ومصاهرة بين كثير من العائلات ، أسموه مجتمع الأنصار والمهاجرين.. اندمجت العائلات وأصبحت السيدات يتقابلن مع بعضهن في ما يسمى " الاستقبال " وهو اليوم الذي تحدده ربة البيت لاستقبال صديقاتها وجاراتها ومعارفها ، استعداداً لذهابها هي إلى استقبال صديقتها أو جارتها في اليوم الذي تحدده هي ..

كان يوم الاستقبال في بيت " هدى " هو يوم عيد وفرح عند الجميع.. إنه يوم ينسيها وينسي بناتها وصديقاتها ومعارفها ، مأساة الهجرة والبعد عن الوطن ..كان الأثاث الذي حُمل من يافا إلى عمان ركناً أساسياً في ترتيب البيت لاستقبال الضيوف،

وتقوم البنات – بمساعدة إحدى النساء المستأجرات–بشطف وتنظيف البيت والدرج والساحات، وتزيين الصواني واستعمال النفيس من كاسات الشاي والقهوة ووضع أفضل الشراشف المنشّأة المكوية في أماكنها . وكانت البنات تتهيأن لاستقبال ضيوف أمهن وتقديم كؤوس وأكواب العصير ثم أطباق المهلبية أو الرز بالحليب ، أو الزلابية وأصابع زينب ثم القهوة والشكولاته.. من هنا ازدادت معارف الأم ، واختلطت مع شرائح واسعة من الشركس والشوام والأردنيين والفلسطينيين،وأصبحت عائلات صديقات بناتها في المدرسة صديقاتٍ لها ، ولم تعد تحس بالغربة عن يافا وفلسطين .. بل إن قضية فلسطين ونضال أبنائها ، وبشاعة الاحتلال وكره الانجليز واليهود ، انتقل إلى المجتمع الأردني ، وأصبحت قضية فلسطين قضيته هو..ولمّا كبرت البنات وتخرجن من المدرسة ، أصبحن معلمات ، يحملن قضيّتهنَّ معهن فيها ..

أمسكت المعلمة يد طالبة من طالباتها وشمتها .. قالت لها هذه رائحة صابونة مستوردة .. وأنا أرفض أن تستعمل طالباتي الصابون المستورد...

فامتنعت الطالبة وكل الطالبات عن استعمال الصابون المستورد وأي بضاعة مستوردة ..

خاطت تنورة لها ، بيدها ،وطرزت عليها خارطة الوطن العربي..وقالت للطالبات ، كلكن يجب أن تحاولن خياطة ملابسكن ولا تشترين الفساتين المستوردة ...

كل الطالبات أحببن الوطن العربي والوحدة العربية والإخلاص للوطن ...

نددت الحركات السياسية بحلف بغداد ، فاشتعلت الطالبات بدعم من معلماتهن بالحماس وَرَفْضِ الحلف . وتم حجز قيادات الطالبات .. فلمّا جاءوا للأب يخبرونه أن ابنته تم احتجازها وتوقيفها في "النَّظارة" لمحاكمتها ،أثنى على شجاعتها ، وطلب من أخيها الصغير أن يرسل لها بطانية لتتدفأ بها ، بدل السعي لخروجها من النظارة .

لم تكن فلسطين والقضية الفلسطينية إلا في وسط كل أمر، وحبة عين كل إنسان في المجتمع الأردني ، ولم يكن هناك مناسبة إلا وتقف إحدى البنات أو الأبناء من الفئات العمرية المختلفة، لإلقاء قصيدة عن فلسطين أو يافا أو لتشارك في مسرحية عنها .. أو تنخرط في حزب أو حركة سياسية شعارها استرجاع فلسطين !!

الوحـــــدة

لم تر هدى زوجها فهيم ، يرقص أو يغني أبداً ، بل إنه كان في أيام أعراس بناته ، يبكي ويُبكي الناس من حوله .. كان العرس ووداع البنت من بيت أبيها ، مناسبة للأب كي يبرز خَطَابته وتفوهه،يوصيها بالوصايا العشر أو العشرين لمعاملة زوجها وأهله،فها هي تترك البيت الذي فيه تربت إلى بيت لا تعرفه وأهل لم تألفهم، لتعيش مع قرين غريب عنها وعن طباعها وعاداتها ..فلتكن له أمَةً يكن لها عبداً ، تفرح لفرحه وتحزن لحزنه ، وتعينه على مصائب الدنيا وأفراحها وأتراحها.. وتنجب له الذرية الصالحة ... الخ

ولكن هدى رأته في ذلك الصباح يغني ويرقص طرباً ، ويوقظ ابنه محمداً وبناته ، ليحفظوا معه وعلى مدى المقبل من الأعوام، أغاني الوحدة العربية بين مصر وسوريا ...

أعلن القائد جمال عبدالناصر الوحدة بين مصر وسوريا ... وكان أحد أهم آمال الفلسطينيين تحديداً والعرب عموماً أن تقوم الوحدة بين أقطار الدول العربية لتكون أُمةً مهيبة،قوية،تحرر فلسطين ...

وانطلقت الإذاعات العربية : المصرية والسورية ، بتكرار أغاني الوحدة .. ورقص فهيم عليها كما لم يرقص من قبل....

غنى مع المغنّي محمد قنديل :

وحدة ما يغلبها غلاب .. يشاركها وحدة أحباب

توصلنا من باب لباب .. ولا حاجز ما بين الاثنين

ولا مانع ما بين الاثنين ..ولا حايل ما بين الاثنين

أنا قاعد فوق الأهرام .. وقدامي بساتين الشام

أشاهدها وأهالي كرام .. يقولو ا لي أهلا يا زين

يقولوا لي مرحى يا زين

ولا مانع ما بين الاثنين ..ولا حايل ما بين الاثنين

وزغرد مع المغنية صباح :

آووها وتمت الوحدة

آووها من بعد الشدة

آووها يا جمال عبدالناصر

آووها يا موحّد الامّة

ولفرحة أبنائه بفرحه ، فقد قامت ابنته فاطمة بتخصيص دفتر خاص لكتابة هذه الأغاني لحفظها غيباً ، ثم جمعت كل الأناشيد والأشعار التي قيلت بيافا ، وأهدت والدها الدفترين معاً !!

جمال عبدالناصر معشوق الملايين العربية من شرق البلاد العربية إلى غربها .. يطوي صفحة الاعتداء الثلاثي على أرضه، ويعوض شعبه بوحدة مع سوريا.. لتكون " كالكماشة " على دولة الاغتصاب .. دولة العدو ..دولة الاحتلال الإسرائيلي ..

كم مرة سيستعمل الناس كلمة " الكماشة " لتشبيه انقضاضهم على دولة إسرائيل وتحطيمها وإزالتها عن الوجود؟؟ كم مرة ؟؟

وهل انطلقت هذه الكماشة حقاً ؟ وماذا كانت يوم حرب الأيام الستّة؟؟

هذا مالم يعرفه أحد ، ولن يعرفه أحد ..

المـــوت

لم يكن لهدى إخوة أو أخوات إلا أختها " بكرية " ... وجغرافياً، كان بيتها بعيداً عنها .. ولكنها عندما اشتكت إحدى بناتها أنها " تحب أختها أكثر منا" ، وأنها " تفضل أن تعطيها أكثر منا" غضبت الأم وقالت : هي أختي وليس لي غيرها ولا أتوقع أن ينجب لي والدي غيرها.. أما أنتم بناتي وأبنائي فأنتم

عشرة .. وإذا ماتت إحداكن لا سمح الله فلي غيرها ....

بقيت بكرية متوسطة الحال .. فزوجها الكفيف لا يعمل بأية وظيفة لا ثابتة ولا متحركة .. وأبناؤها الذكور لا زالوا صغاراً ، بل إن اثنين من الأبناء أنجبتهم بعد الهجرة ، في هذا البيت الصغير الذي بناه زوجها ، وأضاف إليه – كلما أمكنه ذلك – ملحقاً وراء ملحق .. والبنات يخطن لأهل الحارة – الفقيرة أصلاً – بقرش أو قرشين أو عشرة قروش ..

كانت بكرية لا تزال في مقتبل العمر ، ولم تتجاوز الأربعين عاماً ولها هي الأخرى عشر من البنات والأبناء فلما أحست أنها " حامل " لم يسعها عقلها .. فهل تضيف إلى الهم همّاً آخر .. ألا يكفيها هذه الأفواه لتطعمها وتسقيها وتعلمها وتلبّسها .. وما الذي يكفيهم ويسد رمقهم؟.. جسدها يذوي أكثر فأكثر وهي بالكاد تنصب قامتها تحت وطأة هذا التعب والشقاء .. فهل تضيف إلى تعبها حملاً آخر ؟

وبهدوء ودون إشعار أحد من بناتها ، أقبلت على أثقل قطعة من الأثاث في منزلها وأخذت " تزيحها " من جهة لجهة .. تلك طريقة معروفة " للتطريح " إنه " كوريتاج " منزلي يدوي فعال، فينزل الجنين وترتاح من همِّهِ ، ثم أحضرت كوباً من الكاز وشربته لتسهيلِ نزول الجنين.

ولكن الله لم يرد لها ذلك فقد أعياها الكاز كثيراً ، وأخذت تبصق وتنزف دماً .. وأقبلت بناتها عليها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وتوصيهم بأبيهم وإخوتهم الصغار، وبخالتهم "التي ليس لها في الدنيا غيرها " وخرجت روحها من جسدها بكل بساطة وسرعة !!

أي إعصارٍ ألمّ بهدى لسماعها بموت أختها .. قتلتها الهجرة وسوء الوضع المادي ، وكثرة العيال وقلة الحال " يا حسرتي عليك يا أختي " !!

في الموت يجمع الحزن العائلات ..

في الموت قال الشاعر :

"إن حزناً في ساعة الموت أضعاف سرور في ساعة الميلاد"

في الموت يحنّ الغريب على الغريب ، وتحزن حتى الأشياء كلها ..

ولكن الموت لا يستثني أحداً .. إنه قريب بشكل يفاجئ الناس دوماً.. فكل وفاة فرد هي مفاجأة للعائلة والأقارب والمعارف .

لم تكد تمضي أشهر على وفاة بكرية ،حتى أُصيب " فهيم " بجلطة قلبية ، وبرغم العناية الحثيثة والعلاج الذي ناله .. إلا أن الموت لم يمهله كثيراً.. وترملت هدى وهي بعد في الأربعين من عمرها ...

كانت أبيات شاعر فلسطين محمود الأفغاني تتردد في وفاة كل يافاوي ويافاوية إذ يقول :

يافا عليك تحيتي وسلامي ..

يافا عروس الشرقِ والإسلام

يافا ذكرتك في العشية والضحى ..

في الليل في سهري وفي أحلامي

يا والدي إما قضيت مشرداً ..

فأدفن بيافا ثمّ بعض عظامي

فلعلني بعد الممات أزورها ..

فيطيب فيها مرقدي ومقامي .

ولم يتمكن أحد إلى يومنا هذا .. أن يدفن عظام أهل يافا في يافا .. لعلهم يزورونها بعد الممات .. بل إن ابن يافا المعروف جداً على الصعيد الأكاديمي الدكتور إبراهيم أبو لغد، احتاج إلى جواز سفر أميركي ، ووصية مكتوبة ، وواسطة أمريكية كبيرة حتى يدفن في يافا .. وأما مقبرة أهالي يافا ، فهي ومقابر المسلمين في كل فلسطين ، أماكن يسهل على الاحتلال الإسرائيلي خلعها ، وجرفها بالجرافات ، وبناء حدائق أو إسطبلات أو مواقف للسيارات عليها ....

سجلّ الذكريات

أي الذكريات أقسى على الأرملة ؟ وأيها أقرب إلى فكرها ووجدانها؟ الذكريات البعيدة في يافا،حين كان فهيم يحضر لبيتها وهي لا تزال مراهقة صغيرة،بدأت معه تفهم معنى الحب؟أم بعد الزواج وقضاء ما يسمى " بشهر العسل" ؟ أم هي الذكريات القريبة في عمان وقبل وفاته؟وفي علاقاتِهِ الحنون مع بناته وأبنائه وأحفادهِ ؟

هل تذكر حفل زفافها من فهيم ، والسبع ليالي أفراح وجلسات الحنّة والرقص بالشموع على الأصابع ؟

أم تذكر مصيف روبين وقد كانت تذهب إليه كل عام أسوةً بأهل يافا جميعهم ؟ كان فهيم يشدّ الخيام مع العمال خيمةً وراء خيمة .. هذه الخيم لإخوانه وعائلاتهم:سعيد واحمد ومصطفى، وتلك الخيم لأخواته وأزواجهن رشيقة وفهيمة، وتلك الخيمة لأخت زوجته بكرية وزوجها وأولادها ، وتلك الخيم للمطابخ والحمامات .. كل عائلة لها مطبخها وحمامها.. يمضون النهار إما على شاطئ البحر الناعم الجميل،أو في الخيام يطبخون ما لذّ وطاب..وينطلق الصغار إلى ألعابهم وشيطنتهم، تلتقي البنات مع البنات ، والصبيان مع الصبيان .. هؤلاء يتمرجحون على المراجيح التي نصبها صاحب المراجيح.. بقرش أو اثنين، يقضون سحابة النهار .. وهؤلاء يشترون تفاح الشام وغزل

البنات ويشاهدون صندوق العجب ، يعرض عليهم القصص والحكايات المصورة ... وهؤلاء يذهبون لخيمة السوق القريب المجاور.. سوق حقيقي من خيم وطاولات عرض .. يشترون الأساور والدناديش والملابس الصيفية المناسبة والبوابيج وكل ما يلزم السائح المصطاف...

وفي المساء تضيء " اللوكسات " شاطئ روبين .. ويجلس الرجال في المقاهي يلعبون طاولة النرد والورق ويدخنون السجائر والأرجيلة .. أو يحضرون الحفلات الغنائية والموسيقية، حيث يحضر الفنانون من مصر وبيروت لإحيائها للمصطافين الذين يهب عليهم نسيم البحر العليل ، فلا شيء أحلى من متعة صيف روبين، ولا ترضى عائلة مهما كان دخلها أن لا تصيّف في روبين...

وإذا انتهت ذكرى روبين ، تذكرته وهو يوزع فرحه وسعادته على جيرانه ومعارفه وعماله في البيارة ، عندما رزق بابنه محمد ..لم يكن صحيحاً أنه كان يفرح بقدوم البنت ولا يتحرق شوقاً لقدوم ولد يحمل اسمه.. كان عندما يبشّر بالأنثى يُظهر لها أنه لا يزعل أبداً،وأنها كما حملت بالأنثى وولدتها ، سوف تحمل بالذكر .. فلماذا " تزعل " ؟ كانت "هي" عندما تلد الأنثى تضع وجهها بالحائط، لا تريد أن تنظر إليه .. كأنها عاتبة على نفسها ، تلومها ، توبخها ، تتضايق منها ، لأنها لم تنجب الولد .. أما هو فكان يواسيها ، يحمل البنت يلاعبها وهي

بعد في "القماط" ، ويقول لها إنها رضا من الله رب العالمين ،..

كم مرّة كرر أمامها الآية الكريمة ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾٥٨ ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾﴿٥٩﴾سورة النحل ، كم مرّة كرر لها الحديث الشريف "مَنْ كَانَتْ لَهُ بِنْتٌ ، فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا،وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا،وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنْ نَعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَسْبَغَ عَلَيْهِ،كَانَتْ لَهُ سِتْرًا وَحِجَابًا مِنَ النَّار"

ولكنه في ذلك النهار ، وعندما رزق بالولد ، لم يُبقِ نذراً ولا عادةً ولا تقليداً إلا وقام به : أطال له شعره ثم أخذه إلى مدينة الخليل فحلق له شعره أوّل مرة هناك، ثم ذبح له الخراف ليوزعها على الفقراء قرب مسجد سيدنا إبراهيم خليل الرحمن.. عمل " مباركة " لكل سيدات الحارة ووزع علب الملبّس على كل الأطفال ..اشترى له لوازم الأطفال من أشهر المحلات في شارع اسكندر عوض في يافا ومن مصر.. ويوم علق " محمد الصغير " في سياج البيارة وهو يلعب، كاد قلبه يتوقف.. فهو الصبي بعد ست بنات ...

وها هو ابنه يقف أمامها حزيناً على وفاة والده ، لا يعرف معنى اليتم أو الترمّل ، فهو لم يتجاوز العشرة أعوام من عمره.. ولديه أخت ، وأخوان أصغر منه ، فمن سيتولى أمرهم ؟..

في كل يوم كان يدخل عليها الدار في تمام الساعة الثانية والنصف ظهراً، فهو موظف ملتزم بساعات الدوام ، يخرج من المنزل في تمام الساعة السابعة والنصف صباحاً، حاملاً ما تزوده به من فطور : رغيف خبز ، حبّة بندورة ،سبع حبات زيتون ، قطعة جبن .. وعندما ترن الساعة الثانية ظهراً ، تكون قد "فلفلت" الرز وطبخت الدجاج أو اللحم مع الملوخية أو الفاصوليا أو البامية ...فمن سيدق عليها الباب بعد وفاته، ومن سيحضر لها " الزغاليل " لتطبخها ؟.. ومن سيذكر مواسم تنشيف الملوخية ، فيحضر لها عشرات الكيلوات " لتلقيطها وتنتيف " ورقاتها وتنشيفها ؟ من سيحضر البامية لتقميعها وقليها أو تنشيفها ؟ من سيحمل لهؤلاء الأولاد البطيخ بالعشرات، يتناولونه واحدة واحدة ويرمونها للشخص الذي يليهم لوضعها تحت السرير ؟ من سيحضر تنكات الزيت في مواسمه والجبنة والفريكة ، في مواسمها؟..

ثلاثون عاماً قضتها معه ، فأي سجل سيحفظ الذكريات : حلوها ومرّها ، ايجابياتها وسلبياتها ، حربها وسلامها ..

ولكنه الموت نهاية كل حي ..

ظلت ذكرى الزوج مع الزوجة والأولاد .. لعلّها كما كانت هدى تقول: إن الحزن على وفاة شخص " كالصابونة " تصغر وتصغر ولكنها لا تختفي ولا تذوب أبداً ..

في المقبل من الأيام ستحمد الله " هدى " على موت زوجها قبل أن ينفطر قلبه بانفصام عرى الوحدة بين مصر والشام .. وقبل أن يعيش مأساة حرب الأيام الستة عام سبعة وستين .. ولكنها ستظل تذكر دوره في تربية أبنائها ،وتعليمهم وتزويجهم .

على سطح الدار

لم يجد فهيم متسعاً من الأرض ، ليعيد ما كان يفعله في بيارته في يافا .. هناك في البيارة كان يربي الأرانب والدجاج والحمام وكثيراً من الحيوانات الأليفة ، كان يسلخ الأرنب ويرسله للطبخ في الدار فتحس أن خروفاً محشياً على الطاولة ... وكان ينتف ريش صغار الحمام ويرسله للطبخ في الدار ، فتحس أن أطيب طعام هو هذه الزغاليل المحشية .. وكان يلتقط بيض الدجاج يومياً ، فيملأ الطبق بالبيض الأبيض أو البني، الصغير أو الكبير ، ذي الصفار أو الصفارين ..

كل أهل المدن والقرى في فلسطين،يعيشون من إنتاج بيوتهم ومزارعهم..فكل بيت حوله حديقة صغيرة أو كبيرة، عنده إنتاج يغطي جزءاً من احتياجات بيته .. شجرات الزيتون تعطيه الزيت والزيتون طوال العام .. شجيرات البندورة والبصل

والباذنجان، تكفي استهلاكه وتفيض .. الكلأ يُطعم غنماته أو بقراته ، التي بدورها تعطيه الحليب لعمل اللبن والجبن.. البيض من دجاجات الدار ولحوم الطير من طيور الدار .. اكتفاء ذاتي تقريباً لدى الفلاحين وأصحاب المزارع ..

ولما لم يجد فهيم أي متسع من الأرض في عمان لمثل هذه الأمور، فقد سيّج سطح داره وأنشأ فيها مزرعة للدواجن والطيور !!

كان يتفنن ببناء ما يسمى " برج الطيور "،يُطلق الطيور صباحاً ، ثم يدعوها إليه ، فتُقبل على البرج وتعود إلى مسكنها.. يضعها على كفه أو كتفه فتقفُ مسالمةً هادئة وادعة..يُسرُّ لمهارته هذه ، ويدعو أبناءه الصغار لرؤيته .. ولكن الرؤية هذه لا تكون بلا تعليم !!

- ماذا قرأتِ اليوم يا رضا في جريدة الدفاع ؟
- ماذا حفظتِ اليوم يا فاطمة ؟
- أنت يا محمد .. اقرأ لي سورة عمّ ..
- أنت يا خليل هجِّ لي كلمة "لا بأس" أين تضع الهمزة فيها ،على نَبرة أم وحدَها ؟
- أنت يا انتصار ماذا قالت " أمينة السعيد " في مجلة حواء حول موضوع "ضرب الأطفال" ؟.

تعليم مستمر .. ومتابعة مستمرة لكل صغيرة وكبيرة في حياة الأبناء.. وتحليل مفصل وممل للشهادة المدرسية لكل ابن، وضرب بالعصا على "قفا" كل مقصّر لا يحفظ دروسه ولا يُسمّع آيات القرآن الكريم كما يجب ..

أمينة السعيد

وقد كان للكاتبة المصرية " أمينة السعيد " منزلة خاصة في حياة هدى وبناتها .. فمجلة حواء والهلال والمصور كانت تصل المنزل دورياً، وكانت زاوية "أمينة السعيد" في باب "اسألوني" محل نقاش مستمر، نظراً للآراء الجريئة والمتقدمة والمتحررة التي كانت تحملها .. كانت تحث الفتاة على نيل حقوقها كاملة، فتتعلم وتحصل على أعلى الشهادات ، تكمل الدراسة الأولى وتدخل الجامعة ، تعمل بالوظائف الحكومية وغير الحكومية،تأخذ مكانها الطبيعي في الحياة السياسية، فهي نصف المجتمع ، وعلى المجتمع أن يسمع رأيها ، ويدعم إبداعاتها وانجازاتها ، لم تكن ترضى "الدونية أو السلبية " للمرأة ، وتحرضها - إن بمقالاتها أو ردودها على رسائل القراء- على امتلاك ناصية قرارها بيدها والتمسك بحقوقها ..

وفهيم الأب كان - على ما يبدو - يؤمن بهذا ، فهو كان يؤمن- منذ أن كان وصياً على " وقف " العائلة في يافا - أن للأنثى حقاً مثلها مثل حق الذكر .. بل لقد خاض معركة قضائية في يافا ليثبت أن أموال الوقف يجب أن توزع على الإناث كما هي للذكور .. وإذا كان نص "الوقفية " قد حصر "ريع الوقف" لأولاد الحاج خليل الجد الأكبر الذي أوقفها ، فهو لا بد كان يعني بالأولاد :الذكور والإناث من الذريّة.. وليس الذكور فقط،وقد ربح القضية في حينها ،وظل في قرارة نفسه يؤمن بحق الفتاة في التعليم والعمل والميراث أي المساواة مع أخيها ..

ولكن العائلة فوجئت بخطيب احدى بناتها يمنع خطيبته من قراءة المجلات الاجتماعية ، وتحديداً مجلة حواء وتحديداً الكاتبة "أمينة السعيد".. كان هذا الخطيب المتعلم ، منتمياً "لحزب التحرير" الذي أسسه القاضي تقي الدين النبهاني في القدس في فلسطين في عام ١٩٥٣ ، كرد فعل طبيعي ضد هزيمة الأمة . معتقداً أن النصر لا يأتي إلا بالخلافة الإسلامية والتمسك بالدعوة للإسلام ..ولكنه كان حزباً سياسياً متعصّباً فكرياً ودينياً .. واهتزت العائلة كلها لهذا الفكر المتعصّب ، وبدأت الخطيبة تلح على ضرورة فسخ خطبتها عنه .. وكانت مشكلة كبيرة ، خصوصاً للأم التي تخشى كمفهوم واعتقاد سائد أنّ الطلاق – وإن كان ليس حراماً - إلا أنه غير مقبول

اجتماعياً ..

أياماً وليالٍ ، استمرّت النقاشات أمام الجميع في المنزل، أتفسخ الخطوبة وعقد القران ويطلق اسم " مطلقة " على البنت ، أم ترضى بمصيرها ، وسيغيّر الزمن مفاهيم الرجل؟..

تذلّلت البنت لأبيها وأمها .. قالت إنها ستبقى لهم خادمة في بيتهم على أن تتزوج مثل هذا الرجل بعقليته المتعصبة الرجعية.. هددت بالموت لو أجبرت على الزواج .. لم تمس غرضاً أو هدية أهداها إياها..

وعندما توسط والدها عند القاضي لفسخ عقد القران ، جمعت كل الهدايا وأعادتها واحدة واحدة وأقفلت الباب وراءه ..

كان حزب التحرير واحداً من الأحزاب السياسية الكثيرة التي ملأت الساحة الفلسطينية ، كرد فعل طبيعي للهزيمة التي أصابت الأمة . وتوزع أفراد الشعب الفلسطيني في مساحة الوطن العربي على الأحزاب والجبهات السياسية:حزب البعث العربي الاشتراكي،والحزب الشيوعي،وحزب القوميين العرب، وحزب القوميين السوريين ، وجبهة التحرير الفلسطينية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها ..

فهل كانت هذه الأحزاب لمصلحة القضية الفلسطينية ؟ أم أنها زادت من معاناة الفلسطينيين أينما وجدوا ؟..

النفط يتدفق

بتدفق النفط في الصحراء العربية ، وبنمو " مدن الملح " في السعودية والكويت والخليج العربي ، فتح الله باب رزق لأهل فلسطين اللاجئين .. وبموت رب الأسرة ، وانقطاع معاشه ، كان على الأسرة أن تدبر أمرها.. وقد سافرت فاطمة إلى الكويت معلمة في مدارسها ، كانت أول مرّة يركب أحد أفراد العائلة الطائرة .. وكان سيل الأسئلة لا ينقطع..هل يسير أحد في الطائرة ، كيف لا يسقط كوب الماء من المضيفة ؟ ماذا يقدمون على متنها ؟.. هل تخافون من ركوبها ؟

لكن الأم " هدى" لم يكن يهمها هذا أو ذاك .. كان همّها الأكبر ، كيف تسافر ابنتها وحدها إلى الكويت .. وهل يا ترى لو كان والدها حياً يرزق سيقبل بسفرها لإعالة عائلتها ؟..

في الكويت توسّع المجتمع الفلسطيني ، لكأن مدينةً فلسطينية نشأت هناك .. أحياءٌ شعبية وسكنية وعمارات ضخمة لا يسكنها إلا فلسطينيون فقط .. فيها اغتنى الناس وعوّضوا جزءاً من معاناة أهلهم . لم يكن هناك فلسطيني ، إلا ويدفع من راتبه - إن لم يكن معظمهُ – لأهله في مخيمات الشتات ، وفي الأماكن التي هاجروا إليها.. من أموالها ومن عرق الشباب تعلم الصغار ، وأكلوا وشربوا ولعبوا ثم تزوجوا..ومن أموالها ومن

عرق الشباب بنيت البيوت وتأثثت واشتريت الأجهزة الكهربائية المختلفة..من أموالها ومن عرق الشباب نشط العمل العسكري ضد الإحتلال الإسرائيلي.. وقد سافرت البنتان الأكبر إلى الكويت مع زوجيهما..فكيف تسافر هذه البنت وحدَها؟وأين ستسكن،ومع من ستعيش؟ كان المجتمع الفلسطيني في الكويت يتسع ويكبر ، وقام السيد درويش مقدادي ، المفتش بدائرة التربية والتعليم في الكويت ، باختيار المئات من الفتيات الفلسطينيات للعمل في الكويت كمدرسات في مدارسها .. وأمّن لهن السكن في بيوت خاصة للمعلمات ، ولمّا كان الغريب يحن على الغريب في بلاد الغربة، فقد كان حنان الأخت على أختها ، والأخ على أخيه والعم على ابنة أخيه أكثر ..

ودّعت هدى ابنتها بكثير من الحزن والخوف ، وحمّلتها الرسائل لأختيها تحثهما فيها على التحلي بصفات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : صلة الرحم ، وصدق الحديث ، وإكرام الضيف ، والإعانة على النوائب ، وكانت هذه الصفات ضرورية عند هذا الشعب المشرّد .. فقد كان عليه أن يثبت جدارته للعمل وكسب العيش ..

كانت "فاطمة" حقاً تتصف بتلك الصفات التي أوصتها بها أمها : تصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحياة . ولقد تركت في نفس معارفها

وأقاربها وأصدقائها أحلى الذكريات وأعمق العلاقات وأكثر لحظات السعادة حميميةً وصدقاً .

وانتقل عم البنات أحمد من مدينة الزرقاء في الأردن إلى الكويت.. كثير من اللاجئين الذين سكنوا الزرقاء غادروها إلى بلدان الخليج العربي .. لم يكن في الزرقاء سوى معسكر للجيش الأردني ، أرضها كانت رملاً ناشفاً ، وهواؤها مشبّع بهذا الرمل.. ماؤها شحيح ، وفرص العمل فيها قليلة .. سكنها اللاجئون ، فبدأوا بتكوين مدينة تكبر يوماً بعد يوم .. ولكن العم الشاب الذي تعلم في الأزهر الشريف ، والذي يتقن اللغة العربية والإنجليزية والعبرية وعلوم الهندسة ، كان يطمح لتحسين وضعه.. وكيف يمكن له ذلك ، في ذلك التجمّع الفقير ؟

فتحت الكويت باب الرزق للفلسطينيين ، وتوظف العم بوظيفة جيدة، وتعلم أبناؤه وبناته في مدارس الكويت ، وتخرج من الجامعات العربية والأمريكية كل أبنائه وبناته مهندسين وأطباء ومعلمين وحملة دكتوراه ... لقد كان فضل الكويت عليهم واضحاً ، وأعطوا هم بالمقابل العرق والشباب والعمل ليلاً نهاراً ليحافظوا على هذه النعمة.

ولما بدأ العمل الفدائي في فلسطين ، استطاع ياسر عرفات استقطاع ٥٪ من رواتب كافة الفلسطينيين لثورتِه العسكرية ضد إسرائيل للعمل الفدائي...

بعد عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين سيتغير الحال من حالٍ إلى حال ..

الأيام الستة

كيف يمكن لستّة أيام أن تقلب الدنيا رأساً على عقب .. كيف يمكن لستة أيام أن تزلزل الأرض والوجدان ، الأحلام والآمال ، الواقع والتوقعات ؟ ستة أيام حملت الشعب الفلسطيني كله ، بل الشعب العربي كله ، حملته إلى الأعلى ، ثم رمتهُ إلى الأرض ..

ستة أيام كان الشعب العربي ينتظرها بفارغ الصبر حتى يمحو دولة الاحتلال من الوجود ، فإذا به يتمنى لو أنها لم تمرّ عليه ، أو أن الزمن قد أوقفها كما نوقف آلة الفيديو بكبسة زر "pause" .

ماذا كان سيجري لو توقف الزمن وقفز عنها؟.. لماذا تضخّمت الأحلام كثيراً ثم ذابت في لحظة واحدة .. وما قيمة ستة أيام في عمر التاريخ ؟

إنها ستة أيام بعمر التاريخ نفسه .. بعمر الهزيمة نفسها ، بعمر تحطم الآمال والأحلام ..

كانت هدى قد أرسلت ابنها محمد لدراسة الطب في العراق، وأرسلت ابنتها لدراسة الصيدلة في القاهرة،ثم أرسلت ابنها الآخر ليدرس الهندسة في القاهرة أيضاً فالهجرة لا يمكن أن تعطّل دراسة أبنائها، مهما كانت الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية ،ثم انتقلت للعيش بقرب ابنتها الكبرى في رام الله لتبتعد ولو قليلاً عن ذكريات بيتها وزوجها وأولادها في عمان ...

عندما وقع الزلزال المدمّر لهذه الأمة ، واستولت إسرائيل على ما تبقى من أرض فلسطين ، عاد اللجوء والهجرة يدقان أبواب الفلسطينيين بيتاً بيتاً ... كم هجرة يمكن أن يتحمل المرء في حياته .. وكم لجوءاً تتسع الدنيا بأسرها ؟ كم بيتاً يستطيع المرء أن يبنى ليُهدم ، أو أثاثاً يشتريه ليتحطم ، أو أماناً يحتضن به أبناءه ليضيع ..

ضاعت البيوت ، وهدمت ، وضاع الأمان ، وسقطت الأحلام..

وارتفع صوت واحد .. صوت البندقية والعمل الفدائي .. فجاء النصر في الكرامة .

بعد عدة أشهر من السقوط المدوّي لحرب سبعة وستين جاء النصر على يد الفدائيين والجيش الأردني في معركة الكرامة : معركة الكرامة التي وقعت عام ثمانية وستين في منطقة الأغوار، فانتصر الفدائيون وقوات الجيش الأردني على جيش إسرائيل الذي كانوا يزعمون أنه لا يقهر...

حق العودة

هل كان يمكن لعائلة فهيم و هدى أو أبنائهم الذين تشبعوا من ذكرى يافا وبياراتها وسهولها وبحرها ورملها ؛ أن ينسوها وقد منعوا من الاقتراب منها ؟ أو العودة إليها ؟

كل المدنيين الذين يهربون بحياتهم وحياة أبنائهم ،من قنابل العدو ورصاصه،يعودون إلى بيوتهم بعد هدوء المعارك.. إلا الفلسطينيين ، فقد منعهم اليهود من الدخول للأراضي الفلسطينية ، وقتلوا كل من حاول العودة إليها .. كثيرٌ من الشباب الفلسطينيين حاولوا العودة : مشياً على الأقدام من الحدود الشمالية بين لبنان وفلسطين ، أو سباحةً في نهر الأردن بين الأردن وفلسطين ، براً بالسيارات ، أو على ظهور الحمير أو بحراً على متن السفن ، ولكن أحداً لم يستطع. منعته رصاصات الصهاينة وسجونهم..كم من العائلات اليافية وغير اليافية، كانت قد خبّأت المال في خزائن بيوتها فحاولت العودة لأخذه..كم من العائلات خبّأت السلاسل الذهبية والأساور ومصاغ نسائهم وبناتهم والليرات الذهبية تحت البلاطة أو في الفراش،متأكدين من عودتهم لبيوتهم وأخذها،فلم يستطيعوا.. كل من ترك بيته تحت قوة السلاح، وعلى أساس أنه سيغادرها

لحين انتهاء المعارك ، كان ينتظر العودة إليه ، فالجيوش العربية ستطبق " كالكماشة" من سبع دول عربية ، من سوريا والعراق ومصر واليمن والأردن والسعودية ولبنان.. وهؤلاء الفلسطينيون الذين دافعوا عن المدن والقرى الفلسطينية ، واستشهدوا أو لم يستطيعوا الصمود لقلة عددهم وضعف أسلحتهم وعدم تدريبهم الكافي ، ظلوّا يخططون للعودة إليها ..

ظلّت إسرائيل – ولا زالت – تخاف من " القنبلة السكانية العربية" .. ظلّت تتمنى أن ترمي سكان غزة مثلاً في البحر للتخلّص منهم .

أصبح تعداد عائلتي هدى وبكرية بالعشرات .. بنات وذكور وأحفاد وأزواج أحفاد .. كان أي لقاء يضم العائلتين ينقلب إلى حلقة نقاشية حول الوضع السياسي .. هذا مع ياسر عرفات وذلك ضده .. هذا يتهم سوريا في جريمة مخيم تل الزعتر ، وذلك لا يتهم إلا إسرائيل في كل الجرائم ضد المخيمات .. هذا يلوم الفدائيين في معارك أيلول الأسود في عمان ، وذلك يعطيهم العذر ، فالطريق إلى فلسطين ، لا بد وأن يمر من العواصم العربية .. هذا يؤيد الحل السلمي ، وذلك لا يرضى إلا بالبندقية..

كل القضايا التفصيلية في القضية الفلسطينية شائكة ..

كان بعض الأفراد قد اغتنى غِنىً واسعاً ، فأصبح يصيّف في

منتجعات أوروبا وأمريكا .. ويقتني بيوتاً في قبرص أو اسبانيا أو كاليفورنيا ، وبعضهم الآخر أصبح عنده بدل السيارة ، سيّارتين أو أربعاً تقف أمام " فيلّته " في الشميساني أو جبل الحسين أو الرابية .. وبعضهم أرسل أولاده للحصول على الجنسية الأمريكية أو الكندية ، كي يصبح في مقدوره أن يسافر بجواز السفر " المحترم " أينما أراد ، خصوصاً في البلدان العربية.. أصبح من الأحفاد الأطباء والمهندسون والمعلمون والمدراء والفنيّون ، وتزوجت من البنات والحفيدات وزراء وأصحاب مراكز في دول عربية كانوا قد لجأوا إليها سواء في العراق أو ليبيا أو الكويت ، وبقيت الروابط العائلية قوية بين الجميع .. وبقي – كما هو الحال دوماً – عدد من الأحفاد متوسطي الحال.

ولكن شيئاً واحداً كان يؤكد عليه الجميع وفي أي لقاء:هو العودة لفلسطين،مهما طال الزمن ، ومهما اختلفت الطرق والمسارات ..

زيـارة إلـى يـافـا

عندما فُتح الباب إلى الخارج بدل أن يفتح إلى الداخل، وعندما احتلتْ نابلس ورام الله وطولكرم والقدس الشرقية وأريحا وجنين ..وو.. وعندما أصبح فلسطينيو الضفة الغربية

تحت الاحتلال الإسرائيلي .. استقبل شاعر فلسطين محمود درويش شاعرة فلسطين النابلسية فدوى طوقان ، وكان لقاءً حزيناً دامياً ، فبدل أن يلتقي الاثنان في الجزء الحر، إذ بالاحتلال يخيّم على الجزئين من فلسطين .

يومها قالت فدوى طوقان في قصيدة " لن أبكي " :

على أبواب يافا يا أحبائي
وفي فوضى حُطام الدُّور ، بين الرَّدْم والشَّوْكِ
وقفْتُ وقلتُ للعينين :
يا عينين قفا نبكِ
على أطلال مَنْ رحلوا وفاتوها
تُنادي مَنْ بناها الدارْ
وتَنعى مَنْ بناها الدارْ
وأنَّ القلبُ مُنسحقاً
وقال القلبُ :
(ما فَعَلَتْ بكِ الأيامُ يا دارُ ؟
وأينَ القاطنونَ هُنا ؟
وهلْ جاءَتْكِ بعدَ النأي ، هل جاءَتْكِ أخبارُ ؟
هُنا كانوا ، هُنا حلموا
هُنا رَسموا مشاريعَ الغد الآتي
فأينَ الحُلْمُ والآتي ؟ وأيْنَ هُمُو ؟

وأيْنَ هُمُو ؟)
ولمْ ينطقُ حُطامُ الدارْ
ولمْ ينطِقْ هُناك سوى غيابِهِمُو
وصمْت الصَّمْت والهِجرانْ
وكان هُناكَ جمعُ البوم والأشباح
غريبَ الوجه واليدِ واللسَانِ ، وكانَ
يُحوِّمُ في حواشيها
يمدُّ أُصُولَه فيها
وكانَ الآمِرَ الناهي
وكانَ ... وكانْ ...
وغُصَّ القلبُ بالأحزان..

فرد عليها محمود درويش :

لم نكن قبلَ حزيران كأفراخ الحمام
ولذا، لم يتفتَّتْ حبنا بين السلاسلْ
نحن يا أُختاه، من عشرين عام
نحن لا نكتب أشعاراً،
ولكنا نقاتل .
صوتك الليلةَ،
سكينٌ وجرحٌ وضمادُ
ونعاس جاء من صمت الضحايا

أين أهلي؟
خرجوا من خِيمة المنفى، وعادوا
مرة أُخرى سبايا!
منزل الأحباب مهجور،
ويافا تُرجمتْ حتى النخاع
والتي تبحث عني
لم تجد مني سوى جبهتها
اتركي لي كل هذا الموت، يا أخت.
اتركي هذا الضياع
فأنا أضفره نجماً على نكبتها
آه يا جرحي المكابر
وطني ليس حقيبة
وأنا لست مسافر
إنني العاشق، والأرض حبيبةْ!

وبعد أن استكانت النفوس وانطفأت ألسنة النيران والغضب،بدأ أهل فلسطين الحرّة ، يزورون فلسطين تحت الاحتلال .. ورأى الأطفال اليافعون يافا، فذهلوا وتحطمت صورتها في أذهانهم .. رأوها حطام مدينة ذابلة ، لا نضارة فيها ولا تألق .. لم يروا فيها بيارات البرتقال الخضراء ، ولا

شمّوا رائحة زهر البرتقال ولا شذاه ، لم يروا شارع اسكندر عوض أو جمال باشا أو ساحة " الساعة " كما كانت توصف لهم.. لم يروا الميناء ولا السفن الراسية فيه ، كانت شبه ميناء، أو قل جزءاً صغيراً من ميناء كان له اسم كبير فيما مضى .. بحثوا عن جوامع يافا وكنائسها ، فلم يروا إلا جامعاً صغيراً طالما تغنى به أهلهم هو جامع حسن بيك .. أما الجامع الكبير فكان جامعاً صغيراً مهملاً لا حياة فيه ..لم يسمعوا أن في يافا أية مطبعة ، وكأن اللغة العربية لم تعد تُطبع في كتبٍ أو مجلات أو جرائد ..

قال أحدهم : أهذه يافا التي كنتم تتباهون بها ؟ ليتها ظلت في خيالاتنا ولم نرَها كما هي الآن ..

بحثت البنت الصغرى عن بيت أبيها ،فلم تتعرف عليه،اتصلت بأمها هدى في عمان تسألها ، كانت قد تعرفت على فتاة مسلمة عرفتها من ملابسها في مدينة يافا ، فأخذت هذه تستعلم من هدى عن منزلها القديم ، فلم تتعرف عليه " لعلّ الزمن شوّش الذاكرة " .. ولكنها عرفته من التلة المقامة عليها يافا القديمة ، وقد أصبحت بيوتاً للفنانين والفنانات تباع الدار فيها بملايين الدولارات .. على هذه التلة كانت تقع بيوت اليافيين .. وفيها قهوة " المدفع " التي كانت تسمع عنها من أهلها ، حيث يجتمع العمال مع الموظفين والصيادين والتجار أصحاب البيارات ..

قهوة الرجال الذين تتلاقى مصالحهم مع تجارتهم وزراعتهم وأوقات فراغهم ولهوهم ، فيها بدأت ترتيبات الإضراب الكبير ، إضراب الشعب الفلسطيني ، ستة أشهر كاملة ، فكان أطول إضراب في تاريخ العالم كله .

ومع أن كل ما حولها كان يوحي بالاحتلال ، إلا أن دائرة بسيطة في الأرض استوقفتها مطولاً ..إنها غطاء " مُنْهل " لتصريف المياه.. مكتوب عليه بالعربية وبالعربية فقط "شركة السكب الفلسطينية" إذن هذه المدينة كانت فعلاً عربية فقط، أقام فيها الانجليز حاميتهم فحولوها تدريجياً إلى مدينة مختلطة ؛ تختلط بها اللغة الانجليزية مع اللغة العبرية – آه ما أحقر الانجليز – أعطوا أرض غيرهم ، لأناس أرادوا التخلص منهم في بلادهم ، رمونا بدائهم ليستريحوا هم .. ما أسوأ الانجليز فهم أصل البلاء والداء .. خدعوا شريف مكة الحسين بن علي ،ليثور على الأتراك العثمانيين ، ووعدوه بمملكة عربية واحدة يكون ملكها ، ثم تخلوا عنه بعد أن ساعدهم في هزيمة الأتراك العثمانيين ، ولم يعطوه إلا منفىً في جزيرة صغيرة في البحر الأبيض المتوسط ، مات فيها لا يملك ثمن أكله ولا شربه.. هل يمكن لعاقل أن يصدق أن هذا "الشريف" ابن الأشراف الذي كان يسيطر على أراضي الحجاز ونجد، والموعود ليكون ملك الأمة العربية كلها في العراق وسوريا والأردن وفلسطين ،

وهو أب لملكين في العراق والأردن ، يُنفى إلى جزيرة صغيرة، فلا يستطيع تأمين أكله ؟ ويذلّه الحاكم الانجليزي للجزيرة، فيرهن خنجره المصدّف ذا الأحجار الكريمة مقابل أربعين ديناراً ؟

كانت زيارة أهل يافا لها كارثية بمعنى الكلمة .. قالت كاملة إنّها ظلّت تُقبِّل تراب يافا وتتمرغ عليه ، وبعدها نامت في الفراش ثلاثة أيام متتالية ، وقد امتلأ جسدها بالحبوب الحمراء "والشرية" ..

أما أحمد فقال إنه دخل بيارته ، وأحب أن يأخذ منها أربع حبات برتقال ، هدية لأهل بيته في عمان ، فأقبل عليه ساكن البيارة ، يهدده بالسلاح ، وأرغمه على رمي الحبات الأربع على الأرض وداس عليها قائلاً : هذه ليست أرضك ، اخرج من هنا. فنام في فراشه يومين يبكي على أرضه وبرتقاله.

ازدهار ذهبت تبحث عن بيت والدها ، هناك في يافا عادت لها ذاكرتها دفعة واحدة تعرفت على مدرستها "مدرسة الزهراء" ، وعلى مدرسة الذكور " العامرية " شاهدت مستشفى الدجاني وجامع النزهة، وسبيل أبو نبوت . ولما رأت بيت والدها دخلته ، ولما رأت الغرفة التي ولد فيها أخوها محمد، ظلت تبكي ساعتين.. لقد كان البيت مسكوناً من عائلتين قادمتين من بولندا ..

انتصار ذهبت إلى مدرسة أخواتها الأكبر منها وبكت على ساحتها ودرجها . رأت بيت عمها فعرفته على التلّة المقابلة

للبحر ، كانت تتدحرج هي وبنات عمها الصغيرات من أعلى التلة إلى أسفلها، كأجمل ما في الدنيا من ألعاب ..

عندما ذهبت " كاملة " إلى يافا تذكرت بربرة ويالها من ذكرى ..

يا بربراوي يا عنب

دخل فهيم إلى البيت مهللاً فرحاً... حاملاً بيده " كوشان" أرض جديدة، قال لهدى : وجهك عليّ سعد يا هدى .. اشتريت اليوم أربعين دونماً في " بربرة " ، لم تكن يوماً قد سمعت باسم " بربرة " ، فقالت: وأين هي " بربرة " هذه ، ولماذا الأربعين دونماً ؟...

- " بربرة " يا ستي قرية قريبة من مدينة غزة .. تبعد عن غزة حوالي عشرين كيلومتر .. إلى الشمال الشرقي منها.. أتعرفين سكة الحديد الواصلة من حيفا إلى رفح ؟إنها في الجانب الغربي منها .. أرضها ترابية ، ولكنها لمحاذاتها للشواطئ الساحلية على البحر الأبيض المتوسط ،ولوجود مناطق طينية على التلال المرتفعة ، فإنها منطقة زراعية من الدرجة الأولى... بل إن سكانها نشيطون جداً بالزراعة. هذه الأراضي التي اشتريتها مزروعة فعلاً عنب "من إللّي يشتهيه قلبك" ..في الموسم القادم

سترين حبات العنب من "بربرة .."

في زيارته التالية لبربرة ، اصطحب فهيم زوجته وابنته الكبرى "كاملة" ، لرؤية مزرعتهم الجديدة في بربرة ، شاهدوا كثبان الرمال حولها .. والأشجار المثمرة بالبرتقال والتين واللوز والمشمش والزيتون والرمان .. وأكلوا من الشمام والبطيخ والجوافة .. صلى فهيم في جامع القرية الوحيد ، وعلمت كاملة أن هناك مدرسة وحيدة ابتدائية في القرية ..

كانت ابنة مُزارع البيارة في مثل عمرها ... فلما لعبت معها في الأرض، سألتها عن اسم مدرستها ، فقالت لا أعرف .. فأنا لم أدخل المدرسة ولم أتعلم .. التعليم فيها للأولاد فقط ... أنا أُساعد أُمي في البيت بعمل البُسط " والمزاود "...

وأخذتها من يدها إلى البيت " البسيط " المبني من اللبِن ، وأطلعتها على بساط طويل مصنوع من خيوط الصوف الملونة ، وقالت أترين هذا المزواد ؟ أنا وأمي ننسجها .

أهدت زوجة المزارع بساطاً جميلاً لزوجة فهيم وابنتها كذكرى لزيارتهما لبربرة ..

بعد حوالي أربعين عاماً ومن بين الغيوم وآلاف السكان في عمان، تلتقي البنت الصغيرة بهدى وتزورها في بيتها ، وتسأل عن ابنتها "كاملة".. أصبحت البنت الصغيرة " أم خالد "، ولكنها لا تزال أُميّة لا تقرأ ولا تكتب ، وتلبس الفستان شبه

البدوي أو الفلاحي .. هاجرت وأهلها هي الأخرى من بربرة، أجبروا على ترك بربرة مع أن أهلها دافعوا عن أرضهم بالقليل الذي يملكونه .. طردوا منها بقوة السلاح ، فالتجأوا إلى غزة .. وهدم الصهاينة قريتهم ، والقرى المجاورة : قرية نعليا وقرية الجبة وبيت جرجا ..كل القرى المجاورة هدمت ،وأنشئت عليها مستعمرة صهيونية .

لا يزال صدى نغمات " فهيم " وهو يطعم زوجته "هدى" حبات العنب البربراوي ، وهو يقول:

يا بربراوي يا عنب .. ياه .. ياه

يا أبو العناقيد الذهب .. ياه .. ياه

كانت كاملة عندما قابلت " أم خالد " هذه قد أصبحت الدكتورة كاملة ، فقد أكملت تعليمها الجامعي مع أبنائها الأربعة .. وظلّت أم خالد تقول ، يا ريت أبوي علمني والله العلم حلو ...

ومع أن أم خالد أنجبت هي الأخرى البنين والبنات ، وسافر بعضهم إلى دول الخليج للعمل ، إلا أنها بقيت فقيرة الحال تتحسّر على الخير الذي كان في أرضهم وفي بيوتهم الطينية في بربرة ، وتتمنى أن تعود إليها ، فلا أجمل من أرض الإنسان وبيته ، حتى لو كان من الطين .. هناك ولدنا وإلى هناك سنعود ...

لم يكن قد بقي لأم خالد هذه إلا بعض الأصص الفخارية، تزرع بها الميرمية أو الريحان أو النعنع لكوب الشاي الذي تشربه..

أما فهيم فلم يبق له إلا متر من الأرض لزراعته ..

متر من الأرض

لم يترك فهيم عملاً أو تجارة في عمان،إلا وخاض غمارها.. هذا جاره اليافاوي يتاجر بالزجاج ، يستورده إما من سوريا أو تركيا أو حتى بلجيكا .. وفهيم يتقن اللغة الانجليزية وكتابة الرسائل، فيشارك في تجارة الزجاج .. وذلك تضمّنَ مزرعة زيتون ، ويسوّق تنكات الزيت في موسمها ، فيشاركه في الضمان والبيع .. وهناك معرض للمنتوجات الزراعية ، فيشارك في منتوجات زراعية ، أبدع في رعايتها ..

لم يكن عنده بعد في عمان أو ما حولها أراضٍ زراعية، فبعد أن سُلبت منه كل الأراضي والبيارات الزراعية في يافا وبربرة، أخذ يهتم بما لايزيد من متر أرض حول بيته ، زرع فيها " داليتين " أي شجرتي عنب ، واحدة ثمارها تدعى " بناتي " صغيرة الحب ، ودون بذو ر ، والأخرى تدعى ثمارها " حلبي " كبيرة الحب وحلوة المذاق ...

وبينها زرع شجرة رمان ، جميلة المنظر ، تحمل زهر الرمان برتقالي اللون على أغصان الشجرة البنيّة ، وأوراقها الخضراء.. ثم زرع شجرة خشخاش واحدة لا غير .. هذه الشجرة التي هي الشجرة الأساسية لزراعة شجر البرتقال أو الليمون أو الجريبفروت .. يُطعّمها المُزارع بطُعم الشجرة التي يريدها فتطرح في العام المقبل ، البرتقال أو الليمون أو الجريبفروت، كم شجرة خشخاش زرعها فهيم مع والده في بيارتهم في يافا.. وها هو في عمان يزرع شجرة واحدة لا يستطيع تطعيمها كما يريد .. يزرعها للذكرى فقط ، فالطقس هنا لا يناسبها ..

ثم زرع " ياسمينة بلدي " في آخر هذا المتر من التراب .. ياسمينة تعطي زهورها البيضاء أحلى الروائح—في الصيف- لكل من دخل البيت أو خرج منه .. وفي عصر كل يوم تقوم إحدى بناته بقطف زهور الياسمين هذه ، فتعطي ما لا يقل عن حمل صينية كبيرة ، وتقوم "بشكها" بالإبرة والخيط لعمل عقود الياسمين لأمها أو ضيوفها ، أو تربط عشر ياسمينات على عود خشبي ، وتلفها بخيط فتصبح "بروش" جميل يوضع على الصدر فيعطي الرائحة العطرية طوال السهرة ..

ولكن ما أبدعه من ذلك " المتر " من التراب هو شجرة يقطين ، اعتنى بها فأعطته ثمرة يقطين طويلة .. أخذها لمعرض المزروعات الذي كان برعاية الأمير الحسن بن طلال ، وتصوّر

مع هذه الثمرة الطويلة " طول الأمير ذاته " فنال عليها جائزة..

كان يتباهى أن عنقود العنب - من هذا المتر من التراب - يزن كيلو غراماً ..

هل كان يريد أن يقنع نفسه أو من حوله ، أنه لا زال يملك بيارات وبساتين ومزارع ؟ هل كان لا يزال يأمل أن يعود يوماً إلى يافا وبياراتها وبساتينها؟وإلى بربرة وعنبها ؟ أم أن هذا هو حال معظم الفلسطينيين في بلاد الهجرة ، أول ما يفعلونه حول بيوتهم هو زراعة الأرض أو التنكات أوالبراميل الفارغة ! فإذا كان اللاجئ من منطقة جبلية أول ما يزرعه هو الزيتون ، وإذا كان من الساحل زرع البرتقال والليمون ؟!

الثقافة والمطابع

لم يكن حديث اثنين أو أكثر عن يافا ، إلا ليؤكد دورها الريادي في الثقافة والحضارة .. عدد المطابع التي تصدر الكتب والجرائد والمجلات .. عدد دور السينما والمسارح ، عدد الأندية الرياضية والكشفية والثقافية .. الجوامع والكنائس والصيدليات والمستشفيات والمدارس ..

ميناؤها يستقبل الفنانين والمثقفين من القاهرة : أُم الدنيا..

إلى يافا:أُم الغريب .. وقطاراتها تسير إلى الشمال والشرق والجنوب ..

"وهدى" لا تترك مناسبة ، إلا وتذكر دور عائلتها في الحراك الثقافي والسياسي والاجتماعي في يافا.. صورة سلفُها المناضل خالد وهو يحمل جرائد ومناشير وخطابات يلقيها هنا وهناك للدفاع عن يافا ، دوره في تعزيز مقاومتها قبل سقوطها. مسؤوليته عن المقاطعة لأي بضاعة تمتُّ بصلة إلى الصهاينة.. وحرصه على عدم السماح للشباب الفلسطيني بزيارة تل أبيب أو التعامل بها ...

حديثها عن قريبها "سامي الأصفر"، وكيف استشهد هو وشقيقه الأصغر "شفيق" وهو يجهز قنابل يدوية للمشاركة في الدفاع عن يافا .. ذكرياتها عن انفجار دار السراي للأيتام في يافا ، وهدم يافا القديمة ...

فلما كبر الأبناء ، أحسّ كلٌ منهم أنّ عليه أن يواصل ما بدأه أهله في النضال ، وإن بصورٍ أخرى.. إن من الكويت أو الرياض أو القاهرة أو حتى أمريكا وكندا وأمريكا اللاتينية ..

قام ابن العم في الكويت بطباعة كتاب ضخم ، يوثق مجزرة "صبرا وشاتيلا" .. ثم قامت "ازدهار" بطباعة كتاب يوثق الطبخات الفلسطينية ، وأصدرت الدكتورة "كاملة" كتباً عن العلاجات النفسية دون أدوية ، وأسست "رضا وأختها"

دار نشر وتخصصت الدار بكتب المقاومة للأطفال ..لقد تشرد الفلسطيني في أصقاع الأرض ، ومنها كان يرفد قضيته بشكلٍ أو بآخر ..

رحلة العلم

لم يكن من السهل على كاملة أن توئد أحلامها بالعلم والشهادة . صحيح أنها أمضت ما يقارب ثلاثين عاماً في إنجاب أطفالها الأربعة وتربيتهم وتطريز ملابسهم ، والسهر عليهم إذا مرضوا ، ومتابعتهم إذا راهقوا ، وإعداد حفلات أعياد ميلادهم واستقبال أصدقائهم ، ومتابعة دراستهم أولاً بأول ؛ إلا أنها ظلّت تحلم بما حُرمت منه وهو العلم ..

ولم يكن من السهل عليها إقناع من حولها وأولهم زوجها بعزمها على التسجيل لدراسة "التوجيهي من منازلهم" وقد فعلت ، فسجّلت بالخفاء ، وأخذت تدرس في كتب ابنها الأصغر الذي كان على مقاعد التوجيهي .. ونجح ونجحت .. وقدّم أوراقه للجامعات ، وقدمت ، وقُبلت بالجامعه الأردنية وبدأت بالدوام. هل كانت أكبر سناً من بعض أساتذتها ومن كل زملائها ؟ هل كانت أكثر دافعيةً وانضباطاً ودواماً من معظم رفاقها؟متى كانت تدرس ومتى كانت تزور الأهل والأصدقاء وتدعو الأقارب والمعارف كأي زوجة وصاحبة بيت ؟ لم يأخذ زوجها الأمر ولا

أولادها على محمل الجدّ ، فقد ظنّ الجميع أنها بعد أشهر ستترك الموضوع وتنساه .. ولكنها ثابرت ، وفي غضون أقل من أربع سنوات تخرّجت .. والمفاجئ أن تقديرها كان جيدجداً .. إذن الطريق مفتوح أمامها لنيل الماجستير ولم لا ؟!

قدمت الطلبات وقابلت المسؤولين .. كان العائق أمام لجان قبولها هو عمرها .. ولكنها كانت تحمل الجواب المناسب (ومن قال أن ابن العشرين سيستفيد من شهادته أكثر مني ؟ الأعمار بيد الله) وبرز عائق آخر وهو ضرورة العمل بوظيفة رسمية للحصول على مقعد الماجستير ، وقدّمت ونالت الوظيفة ، وعلّمت في مدرسة ثانوية للبنات

لم يكن من السهل عليها العمل في وظيفة وهي التي لم تمارس العمل الوظيفي في حياتها.. ولكنه الإصرار على مواصلة الطريق .. وبعد الماجستير سجّلت للدكتوراه في مصر ، وازداد الأمر تعقيداً ، وظيفة هنا ، وسفر إلى هناك ، وأعباء عائلية طبيعية ولكن متزايدة .. صحيح أن الأبناء كبروا ، ولكن كما يقول المثل "كبر همهم معهم" ، فهذه ستتزوج وتلك تكمل تعليمها ، وذلك يبحث عن عمل ثمّ عن عروس .. والزوج يرضى يوماً ويتذمّر أياماً ، بل ويخترع الطلبات لإلهائها عن دراستها،والدكتوراه بحاجة إلى سفر إلى القاهرة ومقابلة المشرفين على الرسالة اسبوعياً ، والوظيفة لها متطلباتها ..

هل كان لأحد فضل في مثابرة كاملة على نيل الدكتوراه؟ وهل تقبّل من حولها من أقارب ومعارف وأهل هذا " النضال والجهاد " في سبيل العلم الذي حُرمت منه وهي في مرحلة الشباب ؟ ولكنها الدافعية القوية بحتمية نيل الشهادة والوصول إلى الهدف .. وقد نالتها .. وعندما افتتحت عيادتها للتربية النفسية والعلاج النفسي دون أدوية، كان لقب "الدكتورة" أهم ما في الموضوع ، إنّ لها وإن لزوجها وأولادها ، وإن لعائلتها الأكبر، أمها ، إخوتها وجميع معارفها .

كانت رحلة تستحق الإشادة والتكريم ، فما حققته على الستين من عمرها ، يصعب تحقيقه عند الشباب في الثلاثين ..

هذه رائحة طبيخ أمي

كل إنسان يحب أن يتميز بأمرٍ ما عن الآخرين .. تلاحظ ذلك منذ الطفولة .. يُحب بعضهم هذا الرياضي فينبري الصغير ليحب رياضياً آخر . يحب الأخ الأكبر هذا الطبق ، فيخالفه الآخر باختيار طبق آخر..هذا يسلك منحى علمياً في المدرسة ويبدع ، يكره الآخر المدرسة ويقبل على الدين يشبع به فكره وعقله .. التميز في أمرٍ ما ديدن الإنسان في هذه الحياة ، وسر التنوع فيها .. وإلا كنا كالآلات الروبوتيه نُشبهُ بعضنا بعضاً ...

في أوائل الخمسينيات حوالي ١٩٥٥ سافرت الإبنة ازدهار

إلى الكويت مع زوجها طبيب الأسنان ، كان والداها قد وافقا على زواجها من طبيب أسنان يمتلك عيادة لطب الأسنان في وسط البلد – عمان – بمعنى أنهما اطمأنا أن ابنتهما ستكون قريبة منهما.. فالأولى كاملة قد " تغربت " بالسفر إلى رام الله التي تبعد عن عمان حوالي ٧٠كم.. فلعل الثانية تسكن قريباً منهما ولا تتغرب .. ولكن ازدهار تغربت فسافرت وزوجها إلى الكويت بعد أقل من سنة من زواجها .. كان السفر إلى الكويت يعني رحلة " برية " شاقة وخطرة بالسيارة تمتد لأكثر من عشرين ساعة ، تخترق صحراء بادية الشام وتعبر العراق من خلال بغداد والبصرة وتسير على طرق معبّدة وغير معبدة ...

وعندما خطبت البنت الثالثة افتخار لتسكن في الكويت أيضاً، رضخ الأبوان وأحسّا أن ذلك قد يكون أقل غربة لابنتهما السابقة .

وفي الغربة،تعتمد البنت على نفسها لإعداد الأكل الذي كانت تأكله في بيت والديها ، وتعاني حتى تصل إلى " طبختها " الخاصة في الأطباق المنوعة التي تعدها .....

في ذلك اليوم دخلت الأخت الأصغر إلى بيت أختها ازدهار، وشمت رائحة الأكل فذكرها بطبيخ والدتها .. كانت "حاملاً وتتوحم " وكانت تسكن في بيت أهل زوجها ولا تطبخ ، فلما شمت رائحة الأكل صرخت وقالت " ياه هذه رائحة طبيخ أمي وهو ما أشتهيه "...

وطبعت الملاحظة في عقل الأخت،وأحست أن لكل شعب أكلات شعبية خاصة به .. وأنه يظل يحن إلى خبز أمه وقهوة أمه مهما ابتعد عنها.. فكما يرث المرء جينات لون بشرته وشعره وعيونه، يرث جينات – ولو غير عضوية – تحمل ثقافة أهله سواء في الموسيقى أو في العادات والتقاليد أو في الأكل واستعمال التوابل واستعمال الزيوت والدهون ، وطرق الطهي وغيره ...

من هنا كانت البداية والنهاية .. لقد أصدرت ازدهار كتاب " ولا أطيب من صحن الدار" به (٥٠٠) وصفة لصناعة الأكل بكافة أشكاله ، ثلاثة أرباعها من الوصفات الفلسطينية ..

علم يُنتفع به

أما البنت افتخار فكان لها باعٌ آخر .. لم تكن تترك الكتاب المدرسي وتطفئ نور المصباح قربها ، إلا إذا جاء والدها وأخذ منها الكتاب وأطفأ النور ، ودعاها إلى النوم .. " يكفي دراسة يابا.. نامي هلأ أحسن"كانت تساعد أخواتها وأمها ، وتدرس.. تنظف شبابيك الدار ، وتدرس ، تنهي شطف الدرج ، وتدرس تستيقظ باكراً وتسمّع الدروس والقصائد والمحفوظات والقرآن.. لم تكن ترضى أقل من الأولى ،فلطالما سمعت والدها يكرر :

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها

والجهل يهدم بيوت العزِ والكرمِ ...

فهل سيكون دورها في الحياة رفع عماد بيت والدها ، أم هدمه ياترى..

ألا يكفي هدم الصهاينة لقرى وبيوت الفلسطينيين ؟

كل النشاطات المدرسية ساهمت بها .. بطولة المسرحيات المدرسية كانت لها .. جمالها أخاذ ، وصوتها معبّر ، وقدرتها على الحفظ والاستيعاب عالية ..

لم تكد تنهي المرحلة الثانوية وتأخذ شهادة "المترك" حتى جاءها العريس ، ففضل والدها الزواج على كل الشهادات، وانتقلت بدورها إلى الكويت .. فهل انتهى دورها هكذا في الحياة..هل سيكفيها إنجاب الأطفال وطبخ الطبيخ وغسل الملابس ؟

عملت في التدريس في مدارس الكويت العامة ثم الخاصة. كانت الكويت قد فتحت أذرعها لكل الجنسيات للعمل فيها ،وكبرت الجالية الفلسطينية،وزاحمت طلاب الكويت في مدارسهم .. صحيح أن كثيراً من المدرّسين كانوا من الفلسطينيين،ولكن مقاعد الدراسة لم تعد تكفي الفلسطينيين.. فلما منعت الحكومة الكويتية الفلسطينيين من دخول المدارس العامة الحكومية ،انبرت افتخار وأخواتها وأزواجهن لفتح مدرسة خاصة للأطفال والشباب العرب ، كانت "مدرسة المنهل" من أوائل المدارس الخاصة في الكويت، ثم انتقلت بها

ومعها إلى عمان.. وأصبحت مدارس يشار لها بالبنان .. تربية وتعليم وقيم ،وأخلاق وإخلاص ووطنية...

عندما جاء أول وفد من سكان يافا العرب إلى عمان ، كان اللقاء غريباً عجيباً .. هؤلاء المنسيون – أهل الكهف – يعودون إلى وطنهم وحضنهم العربي ، فيخاف منهم العرب والفلسطينيون ..قالوا : نحن من بقينا في يافا بعد تركككم لها .. صمدنا فيها ، وضحيّنا ، تحملنا سياج الموت والسجن الكبير.. حاصرَنَا اليهود ومنعونا من السكن حتى في بيوتنا ، وصادروا بيوتنا أمام أعيننا ..وصبرنا وصمدنا ، وها نحن بعد الصحوة، بعد كسر حاجز الخوف ، نعود إليكم ، لنمد جسور المحبة، فكيف تخافون منا ، وكيف تعتبروننا غرباء عنكم ..

كانت المعادلة صعبة .. هل هم الأهل أم هم حاملو الجنسية الإسرائيلية ؟ هل هم بقايا الوطن أم جسور التطبيع ؟

وانتصرت يافا .. انتصر الدم العربي على الحِبر الإسرائيلي: حبر جواز السفر الإسرائيلي . ودعمت افتخار وأخواتها وأصدقاؤهم الوجود العربي في يافا،ومدوا جسور التعاون مع أهلها،وساعدوا في تأسيس مدرسة عربية للأطفال فيها، لتعليم العرب هناك لغة بلادهم ودينهم ، ودعموا إنشاء أول مطبعة عربية بعد دمار عشرات المطابع أثناء الإحتلال الإسرائيلي لها.. لقد شاركت افتخار بشكل أساسي في تأسيس اتحاد المرأة

الفلسطينية في الكويت ، ومشغل بيت المقدس للتعريف بالتراث الفلسطيني ، ودعمت من خلال ذلك ، العمل الفدائي بالتبرعات النقدية والعينية.

غرزة تطريز / هويّة وطن

كل غرزة تطريز هي هوية .. وكل ثوب فلاحة أو بدوية هو مدينة بحالها .. وكل قرية فلسطينية لها هويتها ولها لباسها، ولها عاداتها وتقاليدها .. فمن يحفظ هذا التراث ، وهذه الهوية، ومن يلملم هذه القرى والمدن لينسج الوطن ؟

من يعيد للفلاحات في قراهن ومواسم أعيادهن وأفراحهن وأتراحهن،ذكرى الوطن؟. كيف وقد ضاعت الأرض ، وهجر الناس البيوت ، وتوزعوا في أصقاع الأرض : إلى الخليج ، إلى لبنان ، إلى سوريا ومصر ، إلى أمريكا وكندا وأمريكا اللاتينية.. كل بقاع الأرض هاجر إليها الفلسطيني ، وما عاد يحمل مهباشاً ولا مدقّة ولا فستاناً ولا قمحاً ولا شعيراً...

نسي الناس مواسم الحصاد أو الحرث أو الدّرس أو عصر الزيتون، نسوّا مواسم تخزين الجبنة أو عمل السمنة أو تنشيف التين..ونسوّا أو تناسوا تراثهم وعاداتهم وتقاليدهم أصبح

لبس الثوب الفلاحي شبهة على المرأة أو قل عاراً تحمله فوق جسدها ورأسها ..أضحت " المدنية " تعني تغيير اللباس وتقليد الغرب،البنطلون أكثر حضارة وتقدماً من السروال..فستان السهرة الطويل أكثر رقياً من الفستان الفلاحي أو البدوي الطويل..الطقم الأوروبي لا العباءة .. ارتبط الزي التراثي بالفِلاحة بمفهومها الدوني عن المدنية والحضارة .. وكادت فلسطين تفقد أهم ميزة وهي اللباس .. الهوية ...

ولملمت " انتصار " ذاتها ، وقررت " الهجوم " على هذه المدنيّة الزائفة برفع شأن اللباس القومي .. هل تذكرت يوماً تنورتها التي خاطتها وهي بعدُ صبية ورسمت عليها الدول العربية موحّدة ؟.. إذن اللباس معركة وشعار قومي وأيدولوجيا وفكر تقدمي ، ونضال ، وثقة بالنفس واعتزاز بالماضي والحاضر والمستقبل .. المرأة التي كانت تلبس الفستان للحقل، يمكنها أن تلبسه في الصالون ، أو الحفل ... والمرأة التي كانت تحلب البقرة بلباسها التقليدي ، يمكنها أن تواصل تعليمها بلباس تقليدي أو مطوّر..لماذا إذن نهرب من الماضي ، ولا نهرب إليه باعتزاز واقتدار .. من هنا قامت انتصار بتطوير التراث الشعبي الفلسطيني ، ليدخل البيوت الفارهة والحفلات الكبيرة، والقصور الملكية ، والمناسبات العادية .. ولتعود ذكرى مدن يافا وغزة والنقب ورام الله والقدس ...

هذه غرزة الصليب ، وتلك رمز سنبلة القمح ، وتلك أزهار الليلك ، وهذه وردة الأقحوان ، وهذا عصفور الجنّة ، هذه "القطبة" تناسب صدر الفستان أو كمه ، وتلك تناسب "البيانق" أو جوانب الفستان ..

ألوان خيوط الحرير الملونة ، وذوق السيدة التي تطرز ، وإتقان التطريز وكثافته ، وأشكال التطريز ، تختلف من مدينة إلى أخرى ومن مستوى اجتماعي لآخر..

هجمة الصهاينة ، بعد الأرض والبيوت والأثاث والماء و..و.. وصلت إلى التراث الشعبي والتطريز والملابس .. استغل الصهاينة الأيدي الماهرة الفلسطينية ، وطرزوا الأثواب وادّعوها لهم .. ولكن " انتصار" انتبهت لهذا مبكراً ، فأعادت اللباس الشرقي للمرأة الشرقية وأبدعت وابتكرت وطورت واستفادت من مهارة يد المرأة الفلسطينية في التطريز .. وزرعت حُب هذه المهنة في الآف السيدات اللواتي امتهنّ هذا العمل .

كم أسرة فلسطينية في المخيمات علّمت أولادها من ريْع التطريز!!

تاريـــخ يافـــا

مدينة يافا من أقدم المدن الساحلية ، على البحر الأبيض المتوسط .. قلب العالم القديم ، يقولون إن اسمها يافا جاء من

اللغة الكنعانية "يافو" أي الجميلة .. فهي المدينة الجميلة، وهي حقاً كما يُجمع جميع من رآها أنها جميلة ، لعلّ التلّة المرتفعة على ساحلها ورملها الناعم، وشجرها أعطاها كل هذا الجمال.. وإلا فماذا تختلف عن المدن الساحلية على البحر المتوسط ؟..

لماذا يؤكد المؤرخون والسياح والسكان وكذلك اسمها أنها مدينة جميلة ؟

وما أكثر الكتب التي تتحدث عن يافا .. فلا توجد حملة عسكرية منذ عهد الإسكندر المقدوني ، بل منذ عهد الفراعنة وحضارة ما بين النهرين ، إلا وتحدثت عن دخول يافا أو احتلالها أو صمود حاميتها أو تراجع الجيوش الغازية عن أسوارها .. وكل موسوعات العالم القديمة والحديثة تتحدث عن يافا وميناءها والحروب التي جرت على ترابها .. والكتب القديمة والحديثة أفردت ليافا جانباً كبيراً من صفحاتها .. ولما كانت النكبة وتوزع أبناؤها في أنحاء العالم ، ولما بدأ الحنين إليها يغزو قلوبهم ، ولمّا لملم الفلسطيني واليأس نفسه وعقله وفكره ، وتحسّس قلمه، بدأت الكتب تصدر عن يافا ، فهذا كتاب " يافا الحنين الأبدي" لسمير فوزي الحاج ، و " يافا مشاهد شوق وحنين" لطاهر قليوبي ، وموسوعة " يافا الجميلة " لعلي البواب ، و" يافا عطر مدينة " لامتياز دياب ، و " تاريخ يافا من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر "لإلياس الرنتيسي ، و"بين الوطن

والمنفى "لشفيق الحوت ، و"حكايات عن يافا- ذكريات " لخيري أبو الجبين .. وغير ذلك الكثير الكثير..

وإذا كان تأسيس جمعية لأبناء يافا تأخر كثيراً ، إلا أن " جمعية يافا للتنمية الاجتماعية " تسجلت في عمان ، كما "جمعية يافا العربية " تسجلت في مدينة الزرقاء عام (١٩٩٠) واشتركت البنات اليافيات كعنصر أساسي في جمعية عمان .. فافتخار وازدهار وروضة، كنَّ في الهيئات الإدارية المتعاقبة فيها، يشاركن في كافة نشاطاتها المسرحية والاجتماعية والتمويلية ، وفي سهرات الأحاديث والذكريات، وشاركت افتخار في إعداد كتاب " أعلام من يافا".. أصدرته الجمعية. ورأست روضة تحرير مجلة " نشرة الفلوكة الدورية"، وأعدت مسرحية بعنوان "شارع اسكندرعوض " عن أحد شوارع يافا المهمة التي ألقت الضوء على حقبة تاريخية مهمة في يافا ، وتفاصيل حوادث إضراب الستّة أشهرعام ١٩٣٦ ، وقيام الإنجليز بهدم الوسط التجاري فيها ، حيث الأزقة والبيوت الضيقة ، بحجة تجميل المدينة ، والحقيقة أنه القضاء على الثوار العرب الذين يختبئون في هذه الأزقة بعيداً عن دبابات وآليات الجنود الإنجليز ..

لم يغِب تاريخ يافا عن اهتمام أهلها ، ولم تغِب أسماء أحيائها العجمي والنزهة ، والمنشية وسكنة أبو كبيرعن أرواحهم ، وظل

اسم سبيل أبو نبوت ، وسبيل خان الدرهلي،وسبيل المحمودية من الأسماء العالقة في أذهانهم ، بل إن كل حجر أو شجر في يافا قد أُعيد قلبه والبحث فيما تحته أو خلفه عن تاريخ هذه المدينة الجميلة !! .

هل خفرنا ذمَّةً مُذْ عرفانا ؟

دخل محمد على والدته هدى يخبرها بعزمه على السفر إلى الموصل في العراق ..

- الآن ؟ والحصار على العراق على أشده ؟..

- نعم .. هو الآن .. ولأن الحصار على العراق على أشده..

- ولماذا ؟

- لقد درستُ الطب في الموصل .. وتتلمذتُ على يد أفضل الأساتذة العراقيين ، وأعطوني أفضل ما لديهم من علم وعلاقات إنسانية ورعاية..والحصار قد استنفد كل ما لديهم، فهل تتبرعين معي لشراء مواد طبيّة أُرسلها لكلية الطب في الموصل؟إنهم بحاجة للمواد الأولية الطبية،خيوط جراحية .. أمصال ، إبر طبية ، أوراق تصوير أشعة ، أدوية .. وأمور أخرى لا تعرفينها ، تحتاجها كليات الطب ..

وعادت الذاكرة بهدى إلى يوم قبوله في كلية الطب في الموصل وسفرها للاطمئنان عليه هناك . كان ذلك في أوائل عقد الستينات،كان الوضع المالي للعائلة مستوراً ، ولكنه لا يكفي للإنفاق على البيت والأولاد والدراسة الجامعية أيضاً... فأرسلت برسالة إلى "سلفها الحاج خالد" في بيروت علّه يساعد في توفير بعثة لابن أخيه للدراسة في الموصل .

كان " الحاج خالد " مسؤولاً بحكم عمله في الهيئة العربية العليا ، على إرسال طلبة فلسطينيين للدراسة في جامعات بعض الدول العربية ودول أوروبا الشرقية ، وقد وافق على إرسال ابن أخيه إلى الموصل .

وسافر الشاب وحيداً إلى الموصل،وظل قلب أُمه قلقاً عليه في تلك المدينة البعيدة .. فكيف تتركه للمجهول هكذا ؟.

لقد كانت الكلية حديثة العهد ، لم يمضِ على تأسيسها أكثر من عامين .. فكيف تطمئن عليه ؟

حزمت أمرها وسافرت إلى الموصل عن طريق دمشق ثم حلب ، ثم إلى الشرق إلى الحدود السورية العراقية ، ثم الموصل، مسافة طويلة..آلاف الكيلو مترات ، وصلت واطمأنت ثم عادت!!ويا له من مشوار طويل ومتعب .

لكن الدنيا في ذلك الوقت لم تكن كاليوم..فالحصار اليوم على العراق من كل جانب والدول الغربية تخطط للإنقضاض عليه في أي لحظة..واسرائيل تحث أمريكا على تحطيم العراق وهدم كل إنجازاته.. فكيف يخاطر ابنها اليوم بنفسه وماله ويسافر إلى الموصل ؟..

ولم تمضِ أيام ، حتى حمّل محمد ثلاث شاحنات بمواد طبية لجامعته، جمع ثمنها منه ومن أقاربه ومعارفه وسافر بها للموصل ..

عندما دخل كلية الطب في الموصل ، لم يصدّق العميد ولا الأساتذة عيونهم .. كان لا يزال عدد منهم يعرف هذا التلميذ الأردني الفلسطيني، ولكنهم لم يتصوروا أبداً انه سيعود إليهم حاملاً جميلهم في تعليمه ، مستذكراً دور العراق الكبير في نصرة قضايا الأمة العربية ، والثورة والثوار الفلسطينيين ، بمن فيهم عمه خالد . لقد سمع محمد مراراً وتكراراً عن بطولة الجيش العراقي في حرب فلسطين ، كما قرأ عن مقبرة مقامة في جنين للجنود العراقيين، فإذا كان النصر لم يحالفهم أو يحالفنا ، فهل نخون العهد؟ ألم يقل الشاعر الأخطل الصغير " بشارة الخوري " :

سائل العلياء عنا والزمانا
هل خفرنا ذمَّةً مُذْ عرفانا ؟
المروءاتُ التي عاشت بنا
لم تزل تجري سعيراً في دِمانا

كان دخول هذه الشاحنات، وحمولتها، وصعوبة الطريق وضيق الحصار، وشح المواد الطبية في الكلية ووفاء هذا الطالب.. حديث المدينة !!

أراضٍ مُحتلة

عندما سافرت ابنتها الصغرى إلى القاهرة للدراسة في جامعة القاهرة ، لم تكن تتصور هدى أن ابنتها لن تستطيع العودة إلى بيتها في رام الله،نتيجة حرب جديدة .. بل إنها لم تودِّعها حقاً قبل سفرها، لثقل الأمر على نفسها ، فهي ابنتها الصغرى الوحيدة الباقية عندها في بيتها،بعد زواج كل البنات الأكبر سناً ، وسفرها وحدها قد يعرضها لمشاكل اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية جمّة .. وهي دون أب يتحمّل مسؤولية سفرها ومصروفها .. ولكن تفوق البِنت وإصرارها على السفر، ونيلها بعثة من وكالة الغوث " الأونروا " لتعليم اللاجئين ، أرغمها على القبول .. لم توصِ ابنتها كثيراً .. جملتين أو ثلاثة: " ديري بالك على حالك وارفعي سمعة العائلة .. الحب لا يأتي من النظرة الأولى،فلا ترتبطي بأية علاقة مع أي شاب لا يناسب العائلة في الدين أو الوضع الاجتماعي " .

وتركت هدى منزلها إلى منزل أحد الأقارب ، حتى تم سفر ابنتها ، فالوداع مؤلم ..

وكانت القاهرة في عهد المدَّ القومي الكبير ، في عهد جمال عبدالناصر، الذي كان يلهب مشاعر العرب من الخليج إلى المحيط بخطاباته الوطنية .. وكانت قضية فلسطين وطرد الاستعمار ومقاومة الاحتلال أهم " مفرداته " في كل خطاباته.. بل إن عائلة هدى كانت تتابع كل خطاباته ومواقفه السياسية أولاً بأول: تأميم قناة السويس،بناء السد العالي،دحر العدوان الثلاثي ، إعلان الوحدة مع سوريا ، بناء القوة العسكرية المصرية ، استيراد الأسلحة السوفياتية والتشيكية، محاربة الفساد ، توزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين .. كثير وكثير من القضايا التي تلهب حماس المواطنين العرب في كل مكان ..

وهل كان بالإمكان أن تبقى البنت الصغرى بعيدة عن هذه الأجواء السياسية والحماسية ؟..

اشتركت في اتحاد الطلبة الفلسطينيين في القاهرة ، ومع اتحاد المرأة الفلسطينية ، وشاركت في النقاشات السياسية مع أعضاء الأحزاب المختلفة ومع قياديين في الدولة المصرية.. وكانت تنتظر ورفيقاتها النصر المؤزر في المعركة القادمة مع العدو الإسرائيلي ، فصواريخ " القاهر والظافر " وطوربيدات السفن البحرية ودبابات الجيش ومعداته : الجوية والبحرية

والبرية ، ستحسم النصر دون أي شك ..

وعندما وقعت الهزيمة المُنكره عام ١٩٦٧ ، ونزلت البنت إلى شوارع القاهرة استنكاراً لتنحي " زعيم الأمة " كاعتراف بالهزيمة ، وعندما هدأت الأحوال ، لم تستطع العودة إلى بيتها في رام الله في فلسطين ، فلقد تحركت الحدود من موقعها الأول، وضمّت مواقع جديدة إلى رقعة الاحتلال الإسرائيلي !!

هل تتوقف الحروب ؟ وهل تنتهي معاناة البشر ؟..

الحروب منذ عهد آدم وإلى أن يرثَ الله الأرض وما عليها مستمرة... وما قَتْلُ قابيل لأخيه هابيل إلا الحرب الأولى التي فقد فيها العالم ربع سكانه !!.

ولكن الحياة لا تتوقف .. ومسؤولية هدى في تعليم أبنائها مستمرة.. ولا يزال عندها الطفلان – الشّابان - اللذان ولدا بعد النكبة ، خليل ومحمود ..

وسافر خليل إلى القاهرة لدراسة هندسة الاتصالات .. ثم وبعدها سافر محمود إلى انجلترا لدراسة الهندسة أيضاً .. وواصل محمود دراسته إلى أن نال شهادة الدكتوراه من جامعة مانشستر في انجلترا.

وبعد التعليم يأتي الزواج ، تلك سنة الله في خلقه .. وذلك إيمان العبد الفقير لله بأن مال التعليم والزواج يسهّله ربنا

ويبارك فيه ..

كواشين / قواشين ...

بانتقال فهيم وعمله وعائلته من يافا إلى الرملة ،كان أهم ما نقله معه "كواشين" الأراضي والمحلات والعقارات ، وكافة الوثائق الرسمية للعائلة والأولاد ... فقد كان يقدّر أهمية هذه الأوراق الرسمية في حياة أي فرد .. صحيح أنه لم يكن يتوقع عدم العودة ليافا ، وأن مسؤولاً آخر قد باشر عمله بإدارة "الوقف" لصالح العائلة ، لكن أهمية الوثائق الرسمية كانت كبيرة ، بحيث حرص على وضعها في أهم مكان في الشاحنة التي أقلته إلى رام الله ومن ثم إلى عمان ..

فهل سلمت هي الأخرى من أيدي اليهود ؟..

انتقلت أهمية هذه الأوراق الصفراء – القديمة – المتآكلة – المكتوبة باليد وبالحبر الصيني ، بعضها من العهد العثماني وبعضها من الحكم الانجليزي ، انتقلت ودون رعاية أو عناية من مكان إلى مكان مع انتقال العائلة ، وعندما دخل اليهود عام ١٩٦٧ مدينة رام الله ، حيث تسكن هدى وأوراقها ، كان الشيء الوحيد الذي أخذه الجندي ، هو هذه "الصحارة" الكرتونة التي تحوي الأوراق والوثائق والكواشين ، التي تثبت ملكية العائلة

لأرضها وتاريخها ومولدها وشهادات أولادها في فلسطين ..

ولم تستطع هدى - ولا يستطيع أي فرد – أن يمنع الجندي الإسرائيلي – المدجج بالسلاح من رأسه حتى أخمص قدميه - من تناول أي غرض في أي مكان وفي أي وقت من الأوقات،وانسحبت " الصحارة " الكرتونة كما تسحب الشعرة من العجين ، لا إثبات ولا مطالبة ولا اعتراض .. وظلّت هدى لأعوام تتحسّر على هذه" الصحارة " تماماً كما تحسّرت على آلاف الأمور الأخرى ..فهل كانت هذه" الصحارة " تحمل كل الوثائق ؟..

لحسن الحظ لا .... فقد اكتشفت البنات فيما بعد مكاناً آخر كان يوجد فيه أوراق ووثائق وكواشين أخرى للعائلة في يافا لم تصلها يد الجندي اليهودي .. وابتدأت عملية الترميم والأرشفة.. ولكن بعد سنوات ...

في علم المكتبات ، يدرس الباحثون الطرق العلمية الحديثة في علم" ترميم المخطوطات والأوراق القديمة " ولكن ترميم أوراق العائلة لم يتم بهذا الأسلوب العلمي..قامت البنت الصغرى بوضع لاصق شفاف على الأوراق المثنية الأطراف ، ثم صوّرتها على " السكانر " scanner ، ثم وضعتها على CD واحتفظت بالأصل في دوسية ..إجراء عادي غير مهني ولكنه مرضٍ للذات: لقد فعلتُ شيئاً ما ...

حاولتُ وبصورة فردية أن تسأل إذا كانت دائرة الأراضي والمساحة في عمان تحتفظ بكواشين فلسطين من أيام حكم الانتداب البريطاني،فقال لها أحد الموظفين إنه– وعلى حدّ علمه – لا يوجد أصول لمثل هذه الوثائق ، وإن مياهاً كانت قد أتلفت بعض الوثائق القديمة لسوء حفظها،وإنه قد تكون بريطانيا قد احتفظت بذلك ، ولكن الوصول إليها صعب أو مستحيل ..

صحيح أن الحكومة العثمانية كانت تحتفظ بسجلات كثيرة لفلسطين ،ولكن أن يصل إليها فرد قد يكون أمراً مستحيلاً ، وهو أمر يجب أن تقوم به " دول " وليس أفراد ..

واحتفظت البنت الصغرى"بالأوراق والكواشين المتبقية" "ما تبقى لكم" واحتفظت بالـ CD ، وحاولت توزيع نسخ منه لشباب العائلة وأبناء العم ومن " يحلم " بالعودة أو استرجاع الحقوق المسروقة ..

فمن من الأبناء أو الأحفاد يمكن أن يقوم بهذه المهمة؟

وإلى أي حد سينجح ذلك؟

التقـــــصيـــر

بعد حروب الاستنزاف : حرب رمضان أو تشرين التي انتصرت فيها مصر وسوريا على القوات الإسرائيلية عام ١٩٧٣، أصدرت إسرائيل كتاباً بعنوان " التقصير "... وهو الكتاب الذي يبحث جوانب التقصير في الكيان الإسرائيلي الذي أدى إلى هذه الهزيمة أمام القوات المصرية والسورية .

شكّلت الحكومة الإسرائيلية لجنة مكونة من ست شخصيات، لمحاسبة رأس الدولة "جولدا مئير" ، ووزير دفاعها "موشى ديان " وجهاز المخابرات الإسرائيلية وقادة الجيش الإسرائيلي، لتحديد أسباب هزيمة القوات الإسرائيلية أمام القوات المصرية في سيناء وبالتالي سقوط خط "بارليف" في شرق قناة السويس، وأمام القوات السورية في هضبة الجولان..كل ذلك لتحديد المسؤولين عن التقصير في الدفاع، وبالتالي النصر على "الأعداء" .

وبالرغم من مرور الأعوام الطويلة على سقوط يافا وهزيمة العرب أمام القوات الإسرائيلية ، إلا أن الشعور بالتقصير كان يملأ نفس هدى وبناتها وأبنائها، ذلك أن من يحمل هماً وقضية يجبُ أن يفكر به ويعمل له ليل نهار..

في التمني،في الأحلام ، في الكتابة وفي المسرح ،في التربية وفي التعليم في الاجتماعات العائلية ، وفي الاستقبالات .. مع الجمعيات الخيرية والمنتديات ومع الاحتفالات الوطنية ..

فمن يحمل مسؤولية التقصير في القضية الفلسطينية؟ وماذا على الشعب أن يعمل لتغطية جوانب التقصير ؟

هل يكفي أن تشارك وتدعم وتتبرع لأمسية عن يافا هنا أو هناك ؟ هل يكفي أن تشارك وتدعم وتتبرع في حفل غداء خيري لدعم القدس هنا أو هناك ؟ هل يكفي دعم مؤسسة دار الطفل العربي للأيتام في القدس ؟ هذه الدار التي تأسست عام النكبة ١٩٤٨ إثر مجزرة دير ياسين التي كانت حجر الزاوية في تهجير معظم قرى فلسطين حينها ؟

هل يكفي انشاء جمعيات خيرية في الكويت أو عمان أو الزرقاء أو بيروت ، وتعليم شباب وشابات من هذا المخيم أو ذاك ، والمشاركة في الندوات السياسية وغير السياسية ، أو المظاهرات أو ورشات العمل ؟

كم من النشاطات في مجال التعليم والصحة والثقافة والأدب والدين وغير ذلك لدعم قضية فلسطين وشعبها ، شارك فيه أبناء الشعب العربي عامة والفلسطيني خاصة ..

كم من أبناء هذه الأمة حمل السلاح رسمياً وغير رسمي، مع الجيش أو مع العمل الفدائي ، سراً أو علناً .. مع هذا الحزب أو مع تلك الجبهة .. ولكن ..

ولكنه "التقصير" التقصير هو الشعور الذي ينتاب هدى وعائلتها الممتدة..فلا زال الوطن محتلاً ، ولازالت الأرض مغتصبة ، ولازالت سجون العدو مليئة بالسجناء، لا زالت يافا وأبناؤها دون حقوقهم الانسانية بل وتنتشر فيهم المخدرات والبطالة ، ولازالت غزة محاصرة ودون وقود أو مواد غذائية ، ولا زال الفقر سيد الموقف في المخيمات ...

لا زال التقصير يلف كل أبناء فلسطين والأمة العربية والإسلامية .

فهيم الحفيد

هل نُحمّل صغارنا أكثر من طاقتهم ؟ أم أن الأصل أن نبثّ فيهم آمالنا وأحلامنا وتمنياتنا ، علّهم يحققون بعضها إن كبروا ؟..

ألم نسمع دوماً أن المرأة اليهودية كانت تهز وليدها وهي تردد "قطعت يميني إن نسيتك يا اورشاليم" فكيف نقلق من استمرار نقش عبارات العودة وحق العودة في نفوس أبنائنا ؟

عندما أنجب محمد ابنه البكر سماه - حسب عادات الأهل - على اسم أبيه .. فذلك أمر مفروغ منه للابن البكر ، أن يسمي ابنه البكر على اسم أبيه سواء أعجبه هذا الاسم أم لم يعجب زوجته ، وكان "فهيم" الحفيد يحمل الاسم الرباعي للجد .. وظلّت العائلة جميعها تتصور أن حامل هذا الاسم ، سيقوم بما كان على الجد أن يقوم به ، وهو العودة إلى يافا وممتلكاتها ...

فهل إلى ذلك من سبيل؟ ...

كم مرة سمع فهيم " الحفيد " والأحفاد الآخرون -الذين يحملون أسماء أجدادهم الآخرين من العائلة ذاتها-

كم مرة سمعوا هذا التكليف المستمر بواجبهم في السعي لاستعادة حقوقهم المسلوبة ؟..

فمنذ ولد الحفيد " فهيم " في أمريكا ،وحمل الجنسية الأمريكية،وعندما أصبح للعائلة أكثر من حفيد آخر لأبنائها الآخرين ، يحملون الجنسية الأمريكية أو الكندية ،وجميع العمات والأعمام يحمِّلونهم مسؤولية المطالبة بحقوق عائلتهم ولو"قضائياً " . فالمنطق – الذي يحكم كل أمور الحياة ما عدا ماله علاقة باليهود - يقضى بإمكانية المطالبة بالأرض والعقار المسجل باسم العائلة بكواشين تعود إلى العهد العثماني، وحكومة الانتداب البريطاني .

ولكن أين هي هذه الكواشين وقد ضاع بعضها ، وأتلفت الحكومة البريطانية وحكومة الاحتلال الإسرائيلي ما تبقى منها سواء بفعل فاعل أو بفعل سوء التخزين والزمن ؟ ..

ولا تزال " دوسية ما تبقى لكم " من هذه الكواشين في أحد الأدراج ، يحتاج لمن يتولى قضيتها مع قضايا الحل العادل .

أما فهيم الحفيد ، فلم يعد موجوداً لمتابعة الأمر !!

كسرت ظهري يا محمد

وقفت البنات في باب بيت أخيهن محمد عشية ليلة عيد الفطر.. كانت كل واحدة في بيتها تجهز لعائلتها مراسيم احتفال العيد القادم ، كعك العيد ، الملابس الجديدة .. تنظيف البيت.. توالت الهواتف للالتحاق ببيت أخيهم محمد لأمر جلل.. لقد وصل الخبر أن "فهيم" الحفيد والذي يدرس في أمريكا، قد تعرض لحادث سيارة أودى بحياته!!

كيف يموت شاب لم يتجاوز عمره الثمانية عشرة عاماً هكذا وبكل بساطة .. وهل يجرؤ أحد إلا عزرائيل عليه السلام على أخذ روح شاب لم يرَ الدنيا بعد ؟! وهل بعد كل المعاناة التي يعانيها الأهل لتربية أبنائهم وهم أطفال ثم مراهقين ثم في مطلع الصبا ، يأتي من يأخذ روحهم وينتزعهم من عائلاتهم ؟

لم يكن فهيم الحفيد مرتبطاً ارتباطاً عادياً بجدته هدى ولا بأبيه محمد .. كان له وضع خاص ، ولذلك كانت وفاته لها وضع خاص أيضاً ..

بعد ثمانية عشر شهراً من ولادته ، وبعد عودة والديه من أمريكا إلى عملهم في الكويت ، انفصل الأب عن زوجته، وتركت الأم ابنها " لتتفرغ لحياتها " !!

وحمل الأب ابنه ، واستعان بوالدته لرعايته .. وما أصعب الأمر .. فالجده وقد أثقلها الزمن ، وربّت عشرة أبناء تزوج معظمهم ، وأحست أنه قد جاء وقت الراحة ، يطلب منها ابنها ترك بيتها في عمان ، لتهتم بابنه الرضيع في الكويت !!

ولصعوبة الوضع ، اضطر الأب لترك وظيفته في الكويت والعودة بطفله إلى عمان لترعاه الجدّة في بيتها ...

كان الحفيد فهيم موضع اهتمام وحب العائلة ، فمن لا أم له ، تصبح جميع العمات والمعلمات وحتى الجارات أمهات له ، بشكل صحّي أحياناً وغير صحي أحياناً أخرى كثيرة ..

ماذا يدرس ، ماذا يأكل ، أين يذهب ، من هم أصحابه يكفيه لعب الطابة ، لماذا الذهاب إلى السينما ؟ لماذا لا يزور أخواله؟هل سألت عنه أمه،مسكين يا حرام،الله يعينه..

مسكين..يا حرام .. الله يعينه

كان موضوع ترك والدته له أمراً محيّراً ومزعجاً ومؤلماً للجميع ..له أولاً قبل وبعد كل شيء..ولوالده الذي لا يعرف ماذا يجيبه على تساؤله :أين أمي؟لماذا لا تسأل عني ؟ لماذا لا تحضر حفلات النشاط التي أشارك بها في المدرسة ؟

إذا تسلم درع البطولة في كرة القدم تمنى في قرارة نفسه لو تبارك له أمه بذلك..لو نال شهادة تفوق في المدرسة ، تمنى لو أن أمه تحضر حفل التفوق هذا .. في عيد الأم وعيد الأسرة وعيد الفطر وحتى عيد العمال ، يتمنى لو ترى والدته ملابسه الجديدة وتثني على جماله،الذي يثني عليه أكثر الناس من حوله .. إنها الأم ، خصّها الله وفي نفس الوقت ، فرض عليها واجب تربية ابنها وهو صغير .. فلماذا تتركه أمه ؟

وعندما سافر إلى أمريكا " بلد جنسيته الأمريكية " للدراسة في جامعاتها، ودّع أمه على الهاتف فقط .. وعندما ركب سيارته للذهاب إلى الجامعة في ذلك النهار كان يفكر بها وبحياته التي قضاها بعيداً عنها،وبجدّته التي ربّته، وبمستقبله إن ماتت جدته ولم يعد بإمكانه رؤيتها ..

وفجأة وفي ثوانٍ ، لا يقدرها ويوازنها ويحددها إلا الله وحده، اصطدمت سيارته بجدار إسمنتي .. فأسلم روحه الطاهرة لله الواحد القهار!!

عندما اجتمع الجميع عشية ليلة العيد في منزل أخيهم محمد، كان الهاجس الأكبر ، نقل الخبر الأليم للجدة ..

الجدة التي رعت فهيم الحفيد ثمانية عشر عاماً كاملة، يعود إليها محملاً في تابوت ؟!.

الجدة التي كان يحادثها حفيدها من أمريكا ، قائلاً لها: ستي لا تموتي قبل أن أعود إليك .. فأنا أحبك .. انتظريني، لم يعد حياً ليعود ؟؟.

الجدة التي كانت تنتظر عودته حاملاً شهادته الجامعية، تسمع خبر وفاته !!

ستّي أريد بطاطا مقلية .. ستّي لا أريد هذا البنطلون.. ستي أريد أن أذهب مع أصحابي للسينما .. ستّي ..ستّي شغلها الشاغل كان هو .. مشاكله ، قضاياه ، دراسته ، ملابسه ، أصدقاؤه .. وهل هناك أصعب من تربية الطفل الرضيع ثم الطفل المراهق ثم الشاب المليء حيوية ونشاطاً؟..

عندما وصلت الجدّة إلى بيت ابنها في صباح ذلك اليوم المشؤوم ، وعندما رأت جميع بناتها يقفن خلف أخيهن خشية أن تلاقي عيونهن ، عيونها ، أحسّت أن أمراً ما قد حدث .. تساءلت عيونها قبل أن ينطق لسانها .. شو فيه؟ إيش فيه .؟

بسرعة ودون تلكؤ قال محمد المكلوم:يمّه ..حفيدك فهيم في ذمة الله ..أصابه حادث سيارة ومات ...

كتمت العمات الصرخة في صدورهن ، وارتفع النحيب الدفين من أعماقهن .. وهن يرقبن والدتهن تسمع الخبر ..

ألم تكن جدّته ومربيته وحبيبته وأمه ؟ ألم تربَّهِ شبراً شبراً ؟ ألم تتحمل مشاكله بل وتعاسته .

طوال خمسة عشرة عاماً من حياته لم تسأل أمه عنه .. كان يتحرق شوقاً لرؤيتها أو لمعرفة أنها تهتم به ..أليس أبسط حقوق الطفل على والدته أن تسأل عنه ، وأن تهتم بأمره ..

لماذا كل الأطفال في المدرسة لهم أمهات صغيرات السن متأنقات يسألن عن أطفالهن - أصحابه - وهو عنده "ست" جدّة كبيرة في السن ، لا تفهم كل احتياجاته ومتطلباته ..

في يوم من الأيام جاءت عمته من الكويت لزيارة ستِّه في عمان .. وذهبت للمدرسة للسؤال عنه ، لم يكن أحد يعرف أنها عمته .. فلما سألت عن "فهيم" ظن رفاقه أنها أمه تسأل عنه، فذهبوا إليه راكضين كي يأتي ليرى أمه .. ماذا كان شعوره ساعتها ؟؟ كيف ركض لملاقاتها .. كيف تصوّر شكلها طولها ، شعرها ، عينيها ؟ .. كيف تصور لقاءه بها ، هل ستحتضنه بعد هذه السنوات ؟.

لماذا تركته طوال هذه المدّة وجاءت الآن تسأل عنه ؟.. ولكنها لم تكن هي .. كانت العمّة .. كيف تتحطم الأحلام بهذه السرعة؟؟.

وقفت الجدّة بالباب لا تصدّق ما سمعت . فابنها ألقى على مسامعها كلاما فجاً مفاجئاً قاسياً لا يستوعبه عقل .. حفيدك فهيم في ذمة الله ..

إيش .. إيش.. إيش .. بتقول .. مين ؟ .. فهيم ؟

هل صرخت ؟ هل شقت ثوبها ؟ هل انفجرت ؟ ..

هبطت على الأرض .. وقالت ..كسرت ظهري يا محمد .. كسرت ظهري .. ظهري انكسر .. ظهري انكسر ...

كانت أصعب لحظة يعيشها إنسان .. فموت الحفيد له طعمٌ آخر .. وموت حفيد في درجة اليتيم من الأم موضوعٌ آخر ...

أودعته عند خالقه

بعد وفاة ابنه البكر لم يمهله المرض طويلاً .. يقولون أن الحزن الشديد يؤدي إلى المرض.. وقد هاجمه السرطان فعلاً وانتصر عليه، وجلست هدى تحت قدمي ابنها محمد على سريره تدعو له بالشفاء .. "يارب تأخذ من عمري وتعطيه،يارب تخليه لشبابه وأولاده" أما أنا فيكفيني ما لقيت في حياتي .. كانت جرعات الكيماوي التي أخذها في أمريكا،قد أثرت على شكله وشعره.. وعندما نزل في أرض المطار في عمان، ووقفت هدى وبناتها لاستقباله ، وقد عاد مع أخيه وزوجته ، لم تكد تعرفه !!

لماذا يؤثر الكيماوي هكذا في الإنسان؟يتضخم في مرحلة، ثم يسقط شعره في مرحلة ، يضمر في مرحلة .. تحمّر بشرته في مرحلة ثم تعود فتسودّ..تشيخ ، تفقد بريقها ..

جلست تحت قدميه ، فهو ابنها الأول .. انتظرته بكل لهفة الأمومة .. وفرحت بشهاداته من الصف الأول وحتى شهادة الطب ثم التخصص في الطب النفسي .. لماذا يارب أراه الآن يذوي بين يدي ؟؟ ما الحكمة ياربي في ذلك ؟ تلك حكمتك يارب ولا اعتراض عليها .. ياريت تأخذ من عمري وتعطيه ، فقد عجزتُ عن التحمل!!

كان حلول الأجل أقوى من الدعاء.. فلله مقاليد السماوات والأرض ، بيده كل شيء.. وهو على كل شيء قدير

وقد قدّر الله ، وما شاء الله فعل ...

بحزنٍ كبير أدمى قلوب كل محبيها ومعارفها وجاراتها وبناتها وأقاربهم، قلوب مجتمع عمان من الأنصار والمهاجرين ، من الشوام والشركس والفلسطينيين وحتى الأرمن والأكراد .. ودّعت هدى ابنها ، واحتسبته عند الله تعالى ، الذي لا تضيع ودائعه .

الخاتمة

عندما حملها مائة أو يزيد من أحفادها وأزواجهم إلى المقبرة ..كانت قد أوصت أن تدفن فيما يسمى "الفستقية" كما دفنت ستها أم حسن في يافا ..

توفيت ولم تكن تعلم ، ولم يكن أحد يعلم " أن حفيداً من أحفادها قد ذهب بعيداً للجهاد من أجل القدس وفلسطين"

...

ملحق صور

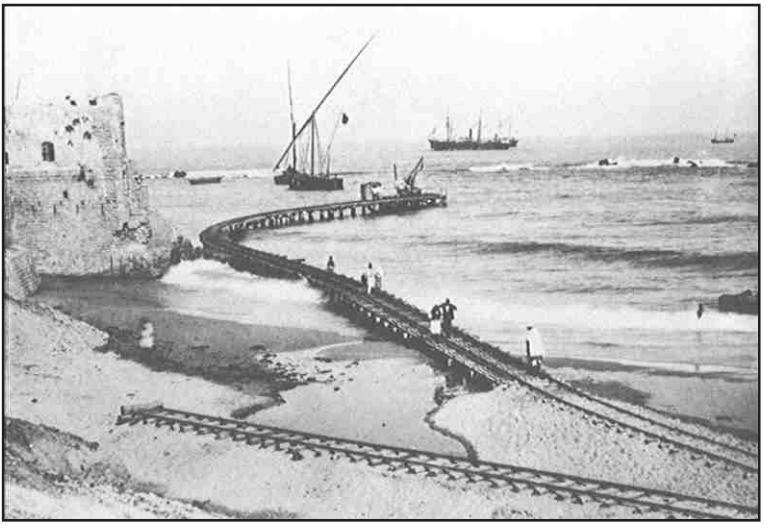

ميناء يافا قبل ١٩٢٠ وتظهر سكة الحديد

يافا منظر عام شارع العجمي في العشرينات

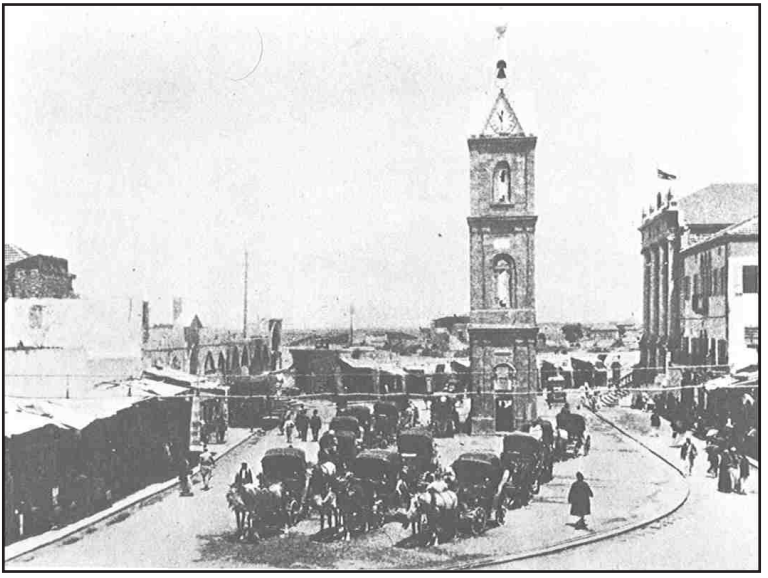

ميدان الساعة وتظهر عربات الكارو والدليجانس قبل عام ١٩١٤

المدينة قبل ١٩١٤

احدى بيارات البرتقال قبل النكبة

برتقال يافا للتصدير

بسطة قهوة في يافا قبل النكبة

بيارات يافا

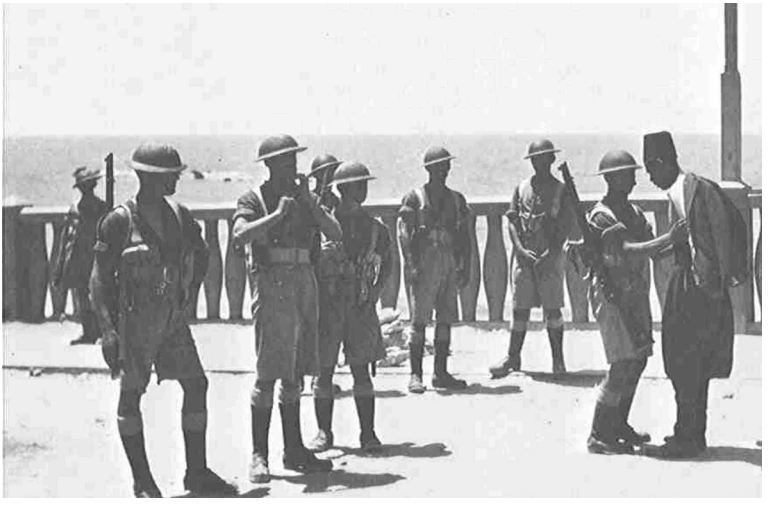

جنود الاحتلال يفتشون فلسطينياً يافاوياً أثناء ثورة ١٩٣٦

حوض الميناء القديم

القمباز والجلباب الاسود

زقاق في المدينة القديمة ١٩٩٠

منظر لحوض الميناء

سينما الحمراء الشهيرة الموجودة في شارع جمال باشا. والعلم الفلسطيني على قمة المبنى. ١٩٣٧

مظاهرة ضد تزايد الهجرة الصهيونية تشرين اول ١٩٣٣

نسف الاحتلال البريطاني للحي القديم الذي أدى لهدم قرابة نصف مدينة يافا القديمة

هدم اجزاء من مدينة يافا بعد النكبة

التفتيش عن الأسلحة

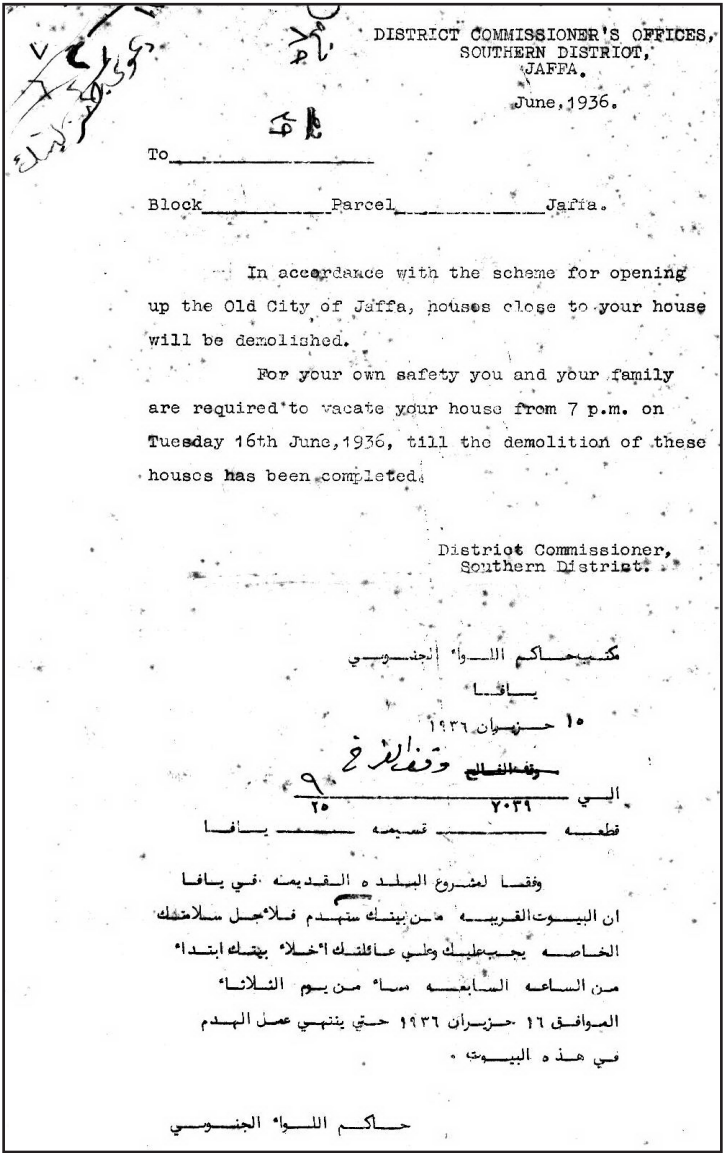

DISTRICT COMMISSIONER'S OFFICES,
SOUTHERN DISTRICT,
JAFFA.

June, 1936.

To____________________

Block____________Parcel______________Jaffa.

In accordance with the scheme for opening up the Old City of Jaffa, houses close to your house will be demolished.

For your own safety you and your family are required to vacate your house from 7 p.m. on Tuesday 16th June, 1936, till the demolition of these houses has been completed.

District Commissioner,
Southern District.

مكتب حاكم اللواء الجنوبي
يافا
١٠ حزيران ١٩٣٦

الى ______ ٢٥ ______ ٢٠٣٩

قطعه ________ قسيمه ________ يافا

وفقا لمشروع البلده القديمه في يافا ان البيوت القريبه من بيتك ستهدم فلاجل سلامتك الخاصه يجب عليك وعلى عائلتك اخلاء بيتك ابتداء من الساعه السابعه مساء من يوم الثلاثاء الموافق ١٦ حزيران ١٩٣٦ حتى ينتهي عمل الهدم في هذه البيوت .

حاكم اللواء الجنوبي

اشعار باخلاء المناطق تمهيداً لهدم أجزاء من يافا من حاكم اللواء الجنوبي الانجليزي

F. 49.

GOVERNMENT OF PALESTINE

حكومة فلسطين

ממשלת פלשתינה (א״י)

No. E 313809

REVENUE TAX RECEIPT وصل بالضريبة المتحصلة קבלה על מסים

District .... لواء מחוז	Instalment .... قسط תשלום
Sub-District .... قضاء הנפה	Register No. ۷٤٤٢ رقم السجل מספר הספר
Village ۷٤٤٢ قرية כפר	Folio No. ۷۸ رقم الصفحة מספר הדף

Kind of Taxes نوع الضرائب סוג המסים	Arrears المتأخرات פיגורי תשלומים		Curr. Year السنة الحالية השנה הזאת		Total المجموع סך הכל	
	L.P. ج.ف. פונט	Mils مل מיל	L.P. ج.ف. פונט	Mils مل מיל	L.P. ج.ف. פונט	Mils مل מיל
House and Land Tax ضريبة المنازل والاراضي מס הבתים והקרקעות						
Rural Property Tax ضريبة الاملاك في القرى מס הרכוש הקלאי						
Urban Property Tax ضريبة الاملاك في المدن מס הרכוש העירוני	—		١	٢٠٠	١	٢٠٠
Animal Tax ضريبة الحيوانات מס הבהמות						
Tithes اعشار מעשרות						
Other Taxes ضرائب اخرى מסים אחרים						
TOTAL المجموع סך הכל	—		١	٢٠٠	١	٢٠٠

Received from [illegible] وصل من נתקבל מאת

the sum of [illegible] مبلغ סך

on a/c of .... Sub-District يافا على حساب قضاء על חשבון נפת

Date [illegible] التاريخ התאריך Signature [illegible] التوقيع החתימה

P. 49

GOVERNMENT OF PALESTINE

حكومة فلسطين

ממשלת פלשתינה (א״י)

No. **F 246795**

REVENUE TAX RECEIPT وصل بالضريبة المحصلة קבלה על מסים

District .... لواء מחוז

Sub-District .... قضاء הנפה

Town or Village .... مدينة او قرية העיר או הכפר

Reference to Tax Payers Register
القيود حسب سجل دافعي الضرائب
מספר הסימוכין בפנקס משלם המסים

Volume No. .... رقم المجلد מספר הכרך

Folio No. .... رقم الصفحة מספר הדף

Kind of Taxes نوع الضرائب סוג המסים		Arrears المتأخرات פיגורי תשלומים		Curr. Year السنة الحالية השנה הזאת		Total المجموع סך הכל	
		L.P. ج.ف. פונט	Mils مل מיל	L.P. ج.ف. פונט	Mils مل מיל	L.P. ج.ف. פונט	Mils مل מיל
Urban Property Tax	ضريبة الاملاك في المدن מס הרכוש העירוני	١٢		١٢		٢٤	٦.
Rural Property Tax	ضريبة الاملاك في القرى מס הרכוש החקלאי						
House and Land Tax	ضريبة المنازل والاراضي מס הבתים והקרקעות						
Tithes	اعشار מעשרות						
Animal Tax	ضريبة الحيوانات מס הבהמות						
	غرامة						٢٦.
TOTAL	المجموع סך הכל					٢	٨٦.

Received from .... وصل من נתקבל מאת

the sum of .... مبلغ סך

as shown above .... كما هو مبين اعلاه לפי הנ״ל

Date .... التاريخ התאריך

Signature Tax Collector .... امضاء محصل الضرائب חתימת גובה המסים

برتقال يافا

مدينة اللد في قضاء الرملة

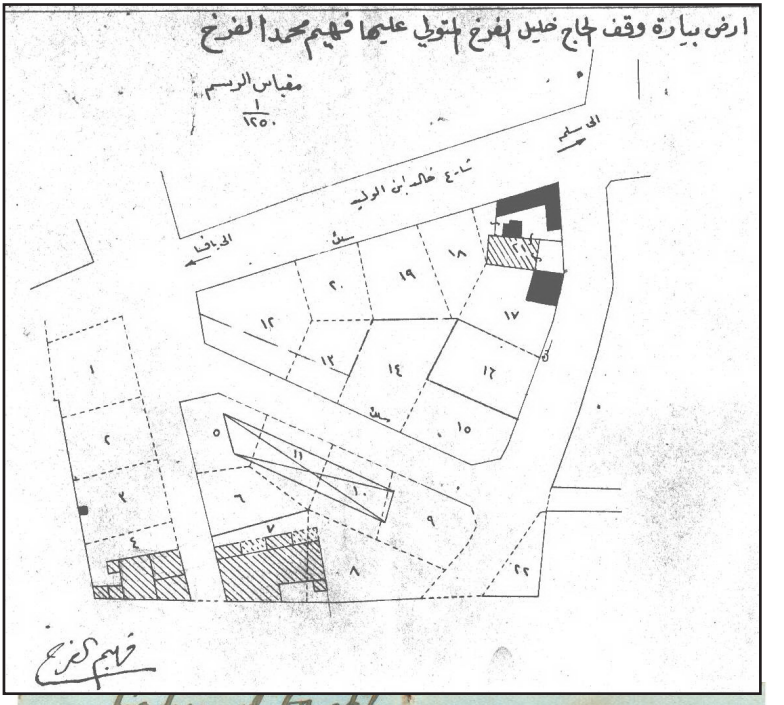

Bearer Fahim el Farekh.

Of (Address) Nuzha a Jaffa

has permission to travel in Palestine at own risk.

By ROAD & RAIL (if rail accommodation available).

and is permitted to use the vehicle described below on any road.*

~~Registered No. of Car~~* Passenger

~~Make~~* as a Govt. Survey

~~Colour~~* Officer

Signature of Issuing Officer M. Buckle Maj.

S.C.(M)

*This MUST be STRUCK OUT in ink if permission to use a vehicle is NOT granted.

Photograph of Holder.

MILITARY CONTROL SOUTHERN AREA

Signature of Holder Fahim Farekh

اهل يافا المنكوبة يغادرون بالسفن ١٩٤٨

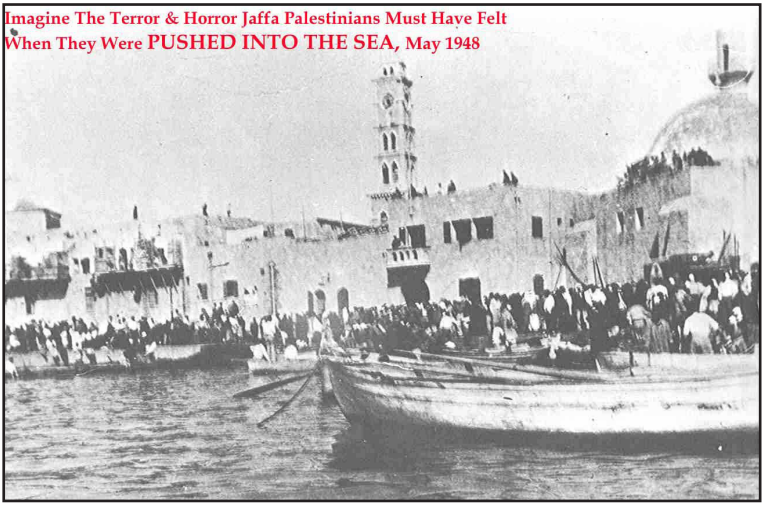

اهل يافا المنكوبة يركبون القوراب بعد سقوط يافا ١٩٤٨

حي العجمي من الاحياء الفلسطينية الوحيدة في المدينة بعد النكبة. ٢٠٠١

الحاج فهيم محمد الفرخ وزوجته هدى عبدالله الفرخ

الحاجه هدى الفرخ

ثمرة يقطين بطول الرجل

فهيم الفرخ مع بناته وأبنائه

طالبات مدرسة الزهراء / يافا

الحاج خالد الفرخ

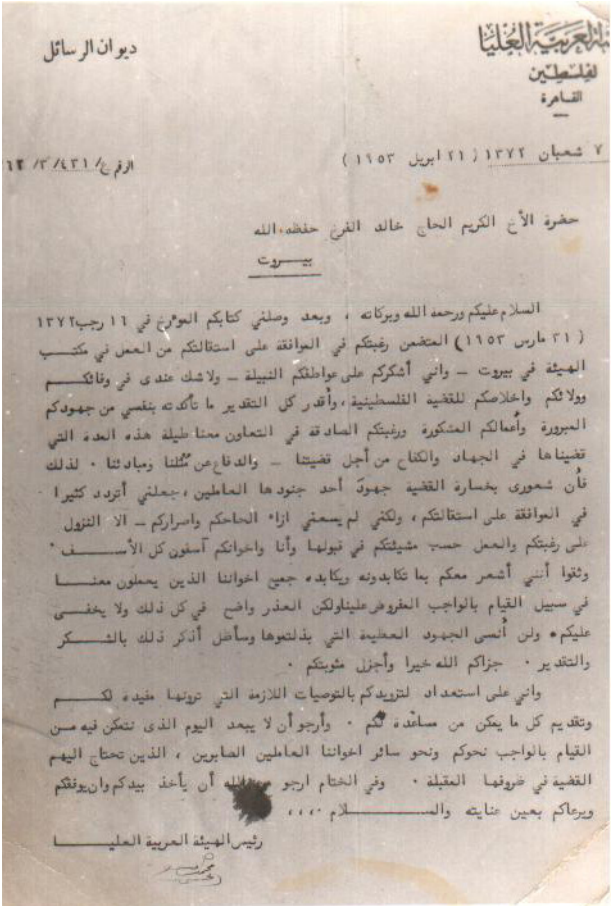

الهيئة العربية العليا
لفلسطين
القاهرة

ديوان الرسائل

الرقم ع/ ٤٣١/ ٣/ ١٤

٧ شعبان ١٣٧٢ (٢١ ابريل ١٩٥٣)

حضرة الأخ الكريم الحاج خالد الفرخ حفظه الله
بيروت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد وصلني كتابكم المؤرخ في ١٦ رجب ١٣٧٢ (٣١ مارس ١٩٥٣) المتضمن رغبتكم في الموافقة على استقالتكم من العمل في مكتب الهيئة في بيروت – وانني أشكركم على عواطفكم النبيلة – ولا شك عندي في وفائكم وولائكم واخلاصكم للقضية الفلسطينية ، وأقدر كل التقدير ما تأكدته بنفسي من جهودكم المبرورة وأعمالكم المشكورة ورغبتكم الصادقة في التعاون معنا طيلة هذه المدة التي قضيناها في الجهاد والكفاح من أجل قضيتنا – والدفاع عن مُثلنا ومبادئنا . لذلك فأن شعوري بخسارة القضية جهودَ أحد جنودها العاملين ، يجعلني أتردد كثيرا في الموافقة على استقالتكم ، ولكني لم يسعني ازاء الحاحكم واصراركم – الا النزول على رغبتكم والعمل حسب مشيئتكم في قبولها وأنا واخوانكم آسفون كل الأسف . وثقوا أنني أشعر معكم بما تكابدونه ويكابده جميع اخواننا الذين يحملون معنا في سبيل القيام بالواجب المفروض علينا ولكن العذر واضح في كل ذلك ولا يخفى عليكم . ولن أُنسى الجهود العظيمة التي بذلتموها وسأظل أذكر ذلك بالشكر والتقدير . جزاكم الله خيرا وأجزل مثوبتكم .

وانني على استعداد لتزويدكم بالتوصيات اللازمة التي تروونها مفيدة لكم وتقديم كل ما يمكن من مساعدة لكم . وأرجو أن لا يبعد اليوم الذي نتمكن فيه من القيام بالواجب نحوكم ونحو سائر اخواننا العاملين الصابرين ، الذين تحتاج اليهم القضية في ضوفها العقيلة . وفي الختام ارجو من الله أن يأخذ بيدكم وان يوفقكم ويرعاكم بعين عنايته والسلام ،،،

رئيس الهيئة العربية العليا

رسالة من الحاج أمين الحسيني زعيم فلسطين الى الحاج خالد الفرخ

مدرسة زين الشرف الثانوية في عمان

افتخار بطلة مسرحية مع طالبات مدرسة زين الشرف

الاخوه الثلاثه محمد ، محمود ، خليل

الاخوه الثلاثه خليل ، محمد ، محمود ،

كاملة تزوجت السيد سعد ابن الشيخ محمد شعبان

ازهار تزوجت الدكتور سعيد الافيوني

انتصار تزوجت المهندس عبدالله خليفة

افتخار تزوجت السيد عبدالرزاق بدران

رضا تزوجت المهندس هشام عز الدين

فاطمة تزوجت المهندس محمود القباني.

روضة تزوجت المهندس حسام الدين الهدهد

ازدهار أمام منزل والدها في يافا بعد مرور ستين عاماً

جمهورية مصر العربية

جامعة عين شمس

بعد الاطلاع على نتيجة امتحان كلية التربية المعقودة بقرار مجلسها في ٩ يناير سنة ١٩٩٠

قرر مجلس الجامعة بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٩٠

منح السيدة/ كاملة فهيم محمد الفرخ ابنة السيد فهيم محمد الفرخ

المولودة في يافا - فلسطين سنة ١٩٣٢ ميلادية

درجة دكتوراه الفلسفة في التربية (صحة نفسية)

موضوع الرسالة: "مدى فاعلية برنامج إرشادي على التوافق النفسي لمرضى القلب والسرطان"

القاهرة في المحرم سنة ١٤١١ هجرية ويوليه سنة ١٩٩٠ ميلادية

عميد الكلية   رئيس الجامعة

سجلت برقم

توقيع صاحب الدرجة

شهادة الدكتوره كاملة الفرخ (دكتوراه في الصحه النفسية)

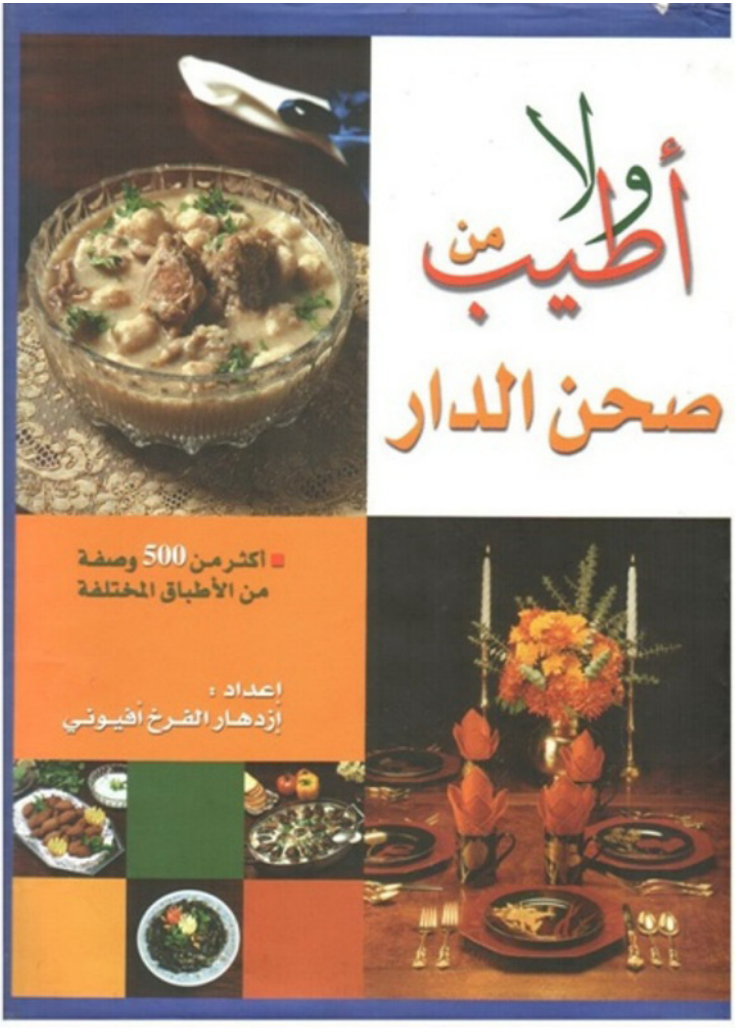
أولا
أطيب من
صحن الدار
■ اكثر من 500 وصفة
من الأطباق المختلفة
إعداد :
إزدهار الفرخ أفيوني

افتخار أسست مدارس المنهل العالمية في الكويت وعمان

مدرسة المنهل تقيم نشاطاً في ذكرى وفاة التلميذ فهيم

غرزة تطريز / هوية وطن

نشرة الفلوكة الصادرة عن جمعية يافا للتنمية الاجتماعية

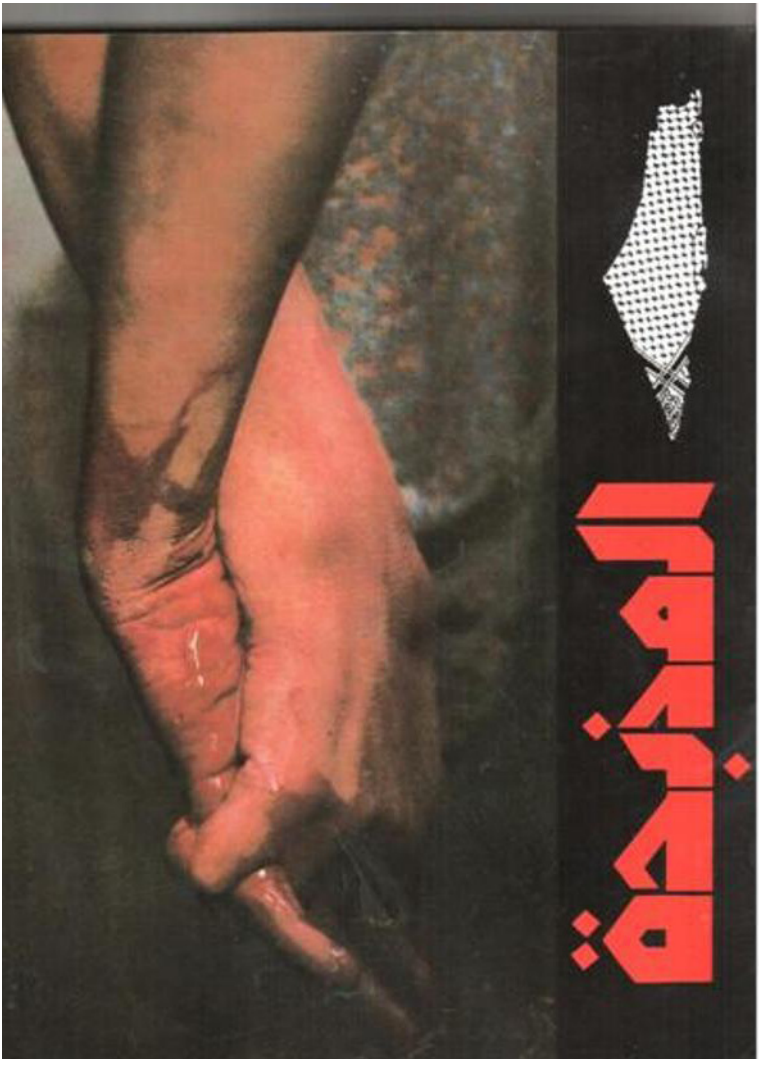

طاهر احمد الفرخ أصدر كتاب المذبحه عن مذبحة صبرا وشتيلا

viduals each according to his interest: private or general.

A biography of people who were uprooted from their homes and stayed alive calling for a return day.

Researchers, who are interested in the issues of archiving and preservation of oral history in writing, are always stressing that it is important for any individual to contribute in writing his history, especially the history of the calamity and immigration. Let this book add to the general record: A small addition in the love of Jaffa and the usurped home.

This book

It is not easy for a person to tell the secrets of his life or its details. Nobody may be concerned about such secrets or details but the person himself. One might consider them meaningless or of any interest to him because these memories are separated from the memories that came before and after.

However, this autobiography may not concern the family members – whose number exceeded a hundred - alone. In fact, it is a biography of immigration from homeland and living in another, which become "another home" to them. In that new home, they had intimate relationships with its society .. they loved it and it loved them back.

The family acquainted with this society which gathered Bedouins, civilians and peasants; villagers, Circassians, Jordanians, Syrians and Palestinians. Girls and boys had their education on school benches with Jordanian girls and boys and had good relationships with hundreds of them, whom they loved and with whom they had beautiful and unforgettable memories.

Later on, they gave their sons and daughters to them in marriage and thus bonds of kinship, acquaintance and love enhanced between them. Then they all engaged in social, practical, union and political activities what made love and respect prevail in all aspects.

This autobiography may match of the autobiography of tens or maybe hundred of families. If you changed the names of its characters, it would become the autobiography of another family .. or else, what is the meaning of one nation, who has the same hopes, the same pains, dreams, customs, traditions and the same interests?

It is a modest autobiography which we offer to the reader to be read by indi-

The End

When a hundred or more of her grandsons and their spouses carried her to the cemetery .. she requested to be buried in what is called “Fustoqiyya” – an underground room - as her granny Um Hassan was buried in Jaffa.

She passed away not knowing - and nobody was aware - that one of her grandsons has gone faraway to fight for the sake of Jerusalem and Palestine.

In great grief that broke the hearts of her lovers, acquaintance, neighbors, her daughters and their relatives .. the hearts of Amman society from supporters and immigrants, Syrian, Circassians, Palestinians and even Armenian and Kurds, Huda said farewell to her son and trusted Allah on his soul for Allah takes care of His deposits.

I Left him in Custody of his Creator

After the death of his eldest son, sickness didn't leave Mohammad him long. They say severe sadness leads to diseases and that was the case with Mohammad who was attacked by Cancer which made him very sick.

Huda sat at her son's feet on his bed praying for him to get well. "O God, please take my life and give it to him .. O God, please leave him to his children. As for me, I had enough of life".

The chemo doses he took in America had affected his appearance and hair, and when he arrived at the airport in Amman, Huda stood to welcome him as he returned with his brother and his wife but she barely knew him.

Why does Chemotherapy affects the human in such way? Swelling in certain stage and then the hair falls .. leanness in some stage and the skin becomes red then turns to black .. then the skin becomes aged and loses its brightness.

Huda sat at his feet for he is her eldest son. She waited for him with all eagerness of motherhood. She felt happy with every school certificate he obtained from first grade until he became a doctor and then when he specialized in psychiatry.

Why O God do I see him now dying in front of my eyes? What is the wisdom behind that? This is your wish O God and I do not object on it. I just wish you would take my life instead for I can bear no more.

Death was stronger than invocation for to Allah belong the keys of the heavens and the earth, he in whose hand is the dominion and he is able to do all things. He has predetermined and what he wishes to do he does.

Did she cry? Did she tear her dress? Did she explode?

She fell on the floor and said, “You broke my back, Mohammad .. You broke my back .. My back is broken .. My back is broken.”

It was the hardest moment a human being can live .. for the death of a grandson has another taste .. and the death of a grandson who is an orphan without a mum is something else.

Faheem›s aunts hid the cry in their chests and the latent wailing rose from the depth while watching their mother receiving the news.

Wasn't she his granny, his nanny, his beloved and his mum? Didn't she look after him in every stage of his life? Didn't she endure his problems or rather his misery?

For fifteen years of his life, his mother never asked about him. His longing was like fire. He wanted badly to see her or to know that she cares for him. Isn't it the simplest right of children that his mother asks about him and care for him? Why do all children in school have young mothers who look smart and ask about their children - his friends - while he has an old granny who might not understand all his needs.

One day his aunt came from Kuwait to visit his grandmother in Amman. She went to school to ask about him. Nobody knew that she was his aunt and so when she asked about Faheem, his friends thought that she was his mother. They ran to him and told him to come and see his mum. How did he feel at that moment? How did he run to see her? How did he imagine her appearance, her hair, her eyes? Will she hug him after those years? Why did she leave him all that period and now came to ask about him?

But alas! she wasn't his mum. She was the aunt. Oh, how can dreams crash so quickly!

The grandmother stood at the door not believing what she heard. Her son has told her something cruel and surprising that her mind wouldn't accept .. your grandson Faheem passed away!!

What? What? What are you saying? Who? Faheem?

soul returned to Allah the One and the Subduer.

When the girls gathered in the evening of the Eid at their brother Mohammad›s house, the grand obsession was how to transfer the painful news to the grandmother.

The grandmother who looked after Faheem the grandson eighteen whole years, and then he comes back to her in a coffin!!

The grandmother who received a phone call from her grandson in America saying to her, "Don't die before I come back to you .. I love you granny .. wait for me" .. is no longer alive to return!!

The grandmother who was waiting for him to come back to her holding the his university certificate and now they say he is dead!!

"Granny, I want fried potatoes .. Granny, I don't want these trousers .. Granny, I want to go with my friends to the movies .. Granny .. Granny…". All what she thought of was him .. his problems, his study, his clothes, his friends .. There is no harder than to raise an infant then a teenager then a young man full of activity and energy.

When the grandmother arrived at her son's house in the morning of that ominous day and when she saw all her daughters standing behind their brother in order not to look at her, she felt that something wrong has happened. Her eyes wondered before her tongue spoke .. what happened? what is wrong?

Quickly and without hesitation, the grieving son said to his mother, "Dear Mother .. your grandson Faheem had died .. he had a car accident and he passed away".

Faheem the grandson was the center of love from all the family for a person with no mother, all aunts, teachers and even neighbors become his mother in a healthy manner sometimes and unhealthy manner some other times.

"What does he study? What does he eat? Where does he go? Who are his friends?, playing football is enough for him. Why going to the cinema? Why doesn't he visit his uncles? Did his mother ask about him? Poor little boy, may Allah be with him."

"Poor little boy, may Allah be with him."

His mother being away from him created a perplexing, annoying and painful situation to him and to everybody, especially his father who was unable to answer his child›s frequent questions, "where is my mother? Why doesn't she ask about me? Why doesn't she come to my school parties?"

Whenever he got the shield of championship in a football game, he wished his mother was there to greet him .. whenever he obtained a certificate of superiority at school, he wished his mother was among the attendants in the celebration. On mother's day, family day, Eid Al-Fiter or even workers day, he wished his mother was there to see his new clothes and say how handsome he was as everyone else around him. She is a mother! Allah granted her a great status and at the same time imposed on her the duty of nurturing her little child .. so why did she leave him?

When he traveled to America - the country of his citizenship - to study in its universities, he only said goodbye to his mother over the phone. When he was driving his car to go to the university on that day, he was thinking of her and the life he spent away from her. He was also thinking of his grandmother who raised him and what would his future be if his grandmother died and he could not see her any more. Suddenly, in seconds that no one can specify, estimate or balance except the Almighty God alone, his car bumped into a cement wall and his pure

You Broke my Back, Mohammad

The girls stood at the door of their brother Mohammad›s house in the evening of "Al-Fiter" Eid or feast. Each one of them was in her house preparing for celebrating the coming Eid - Eid cookies, new clothes, cleaning the house - when their phones rang to tell each one of them to go to their brother's house for a very important matter. They received news from America stating that Faheem the grandson, who was studying in America, had a car accident and died !!

How would a young man whose age did not exceed eighteen die just like that? Does any body dare – but the angel of death – to take the soul of a young man who hasn't seen life yet? After all the suffering which the parents suffered to raise their children while they are little then teenagers then young .. Is it possible that someone comes to take their souls and take them away from their families?

Faheem the grandson›s attachment to his grandmother Huda and his father Mohammad was not normal. His situation was special and thus his death was special too.

After eighteen months of his delivery and after his parents returned back from America to work in Kuwait, his parents separated and the mother left her son "to live her life" and so the father carried his son and let his grandmother take care of him.

The situation was not easy at all because the grandmother is now old. She had raised ten children and most of them got married. When she felt that it was time to rest, her son came to ask her to leave her house in Amman and start taking care of his infant in Kuwait.

Since the situation was difficult, the father was forced to leave his job in Kuwait and return with his child to Amman.

which go back to the times of Ottoman and the government of British Mandate.

But where are those title deeds while some had been lost and what was left had been destroyed by the British government and the Israeli occupation government either deliberately or due to bad storing and time?

The dossier "What was left for you" is still in one of the drawers waiting for someone who would solve its case with the cases of just solution.

Unfortunately, Faheem the grandson is no longer there to pursue the whole issue!!

Faheem the Grandson

Do we let our youngsters carry more than they can, or we should instill in them our hopes, dreams and wishes so they might achieve some of them when they get older?

Didn't we always hear that the Jewish woman used to shake her baby while saying "I would cut my right hand if I ever forget you, Yerushalaim", so why we worry from carving the expressions of return and right to return constantly in our children's minds?

When Mohammad received his eldest son, he named him – as the family customs – after his father's name .. for that was something unquestionable to call the eldest son after his grandfather whether his wife liked the name or not. Faheem – the grandson – was holding the full name consisting of four forefathers. All the family kept on believing that the holder of this name will do what the grandfather had to do .. that is going back to Jaffa and to all the stolen property.

So is that possible ?

How many times did Faheem - the grandson - and the other grandsons from the same family, who carry their grandfathers› names, hear this continuous burdening of their duty to pursue their looted rights?

Since the grandson Faheem was born in America and held the American Nationality, and when the family had more than one grandson from her other sons, holding American or Canadian Nationality , all the aunts and uncles continue explaining to them and hold them responsible for claiming their family rights even if "judicially" for the "reason" – which governs all life matters except anything related to the Jews – confirms the possibility of claiming the lands and real estates registered in the name of the family by title deeds "Kawasheen"

year of Calamity «1948» after the massacre of "Deir Yassin" that was the corner stone of mass immigration of most Palestinian villages at that time? Is it enough to start charitable societies in Kuwait, Amman, Zerka or Beirut and to educate young men and women in this camp or that and to participate in political and non-political lectures, demonstrations or workshops?

How many activities in the field of education, health, culture, literature, religion and others to uphold the Palestinian cause do Arab people in general and Palestinian people in specific participate in? How many son of this nation carried weapons officially and non-officially with the army or secretly and in public with the Palestinian commandos or with this party or that front? But… But it is "delinquency" that Huda with her extended family kept on feeling because their homeland is still occupied and the land is still usurped .. because prisons of the enemy are still filled of Palestinian prisoners .. because Jaffa and its sons are still having no human rights but rather suffer from unemployment and drugs .. because Gaza is still under siege without fuel or food and because poverty is still the master of the situation in camps.

Delinquency is still wrapping all the people of Palestine and the Arab and Islamic nation.

Delinquency

After the war of attrition: Ramadan or November war in which Egypt and Syria gained complete superiority over Israeli forces in the year 1973, Israel issued a book titled "Al-Mehdal" which means oversight or delinquency. The book dealt with the reasons of delinquency or slackness in the Israeli entity which led to this defeat in front of the Egyptian and Syrian forces.

The Israeli government formed a committee consisting of six figures to call to account the head of State "Golda Meir" and her minister of defense "Moshe Dayan", the Israeli intelligence Body and the leaders of the Israeli army in order to identify reasons of the Israeli forces defeat in front of the Egyptian forces in "Sinai" and the fall of " Bar Lev line" east Suez Canal, and also their loss in front of the Syrian forces in "Golan Heights". All of was done first to determine the people responsible for slackness in the defense and second to gain victory over the "enemies".

Though many years passed on Jaffa's fall and the defeat of the Arabs facing Israeli forces, the feeling of slackness was still filling the soul of Huda, her daughters and sons because anyone who carries a concern and a cause has to think about it and works on it day and night: in wishes; in dreams; in writing; in theatre; in education; in family gatherings; in reception days; in charitable societies; in clubs and with national celebrations.

Who carries the responsibility of slackness in the Palestinian cause? What should the Palestinian people do to address the sides of slackness?

Is it enough to share, support and donate to an evening about Jaffa here or there? Is it enough to participate, boost and donate in a charitable lunch party to support Jerusalem here or there? Is it enough to uphold the institution of Arab Children House for orphans in Jerusalem - the house that was founded in the

Fortunately, no, as the girls had discovered later another place in which other papers, documents and title deeds were kept, all in the name of the family in Jaffa and the Jews didn't know about. Then, the process of restoration and archiving started but after years.

In librarianship, researchers study modern scientific ways of restoring manuscripts and old papers, but in the case of those documents, restoration was not done in the scientific way. The youngest daughter put a transparent adhesive on the papers with folded edges, then she scanned them and saved them on a CD while she kept the originals in dossier. That was a normal unprofessional procedure but still satisfying: She did something.

She tried individually to ask if the Department of Land and Survey in Amman keeps title deeds of Palestine lands from the time of British Mandate. One of the officials told her that as far as he knows, there are no originals to such documents and that water had spoiled some old documents because of bad storage. He added that Britain might have kept some but reaching them is hard or even impossible, and said, "It is true that the Ottoman government kept many records for Palestine but reaching such documents individually might be impossible. It is something that has to be done by States not individuals".

The youngest daughter kept what was left of documents and title deeds in the dossier she named «what was left for you» and kept the CD. She then tried to distribute copies of the CD to young men and women of the family in addition to the cousins and to whoever "dreams" of going back or restoring the stolen rights.

Who of the sons or grandsons can assume this task? and to what extent will he/she succeed?

Title Deeds (Kawasheen)

When Faheem, his work and his family moved from Jaffa to Ramlah, the most important things he took with him were the title deeds of the lands, shops and real estates as well as all the official documents of the family and the children for he knew that these papers are very valuable and very important in the life of any individual. It is true that he did not expect that they will not return to Jaffa and that another person become in charge and started his job in managing the "endowment" for the sake of the family, but such documents are of great importance and thus he was careful to keep them in the most important place in the truck which took him to Ramallah and then to Amman.

Were these documents safe and far from the Jews› hands?

The importance of those yellow old worn papers, which were written by hand and Chinese ink, some of which goes back to the Ottoman period and some to the British rule. They were moved without care by the family from one place to another, and when the Jews entered the city of Ramallah, where Huda lives with her papers, in 1967, the only thing that the Jewish soldier took was the carton that contained all papers, documents and title deeds, which proved the ownership of the family to their land and the dates of such ownership. The carton also contained certificates of Huda›s children in Palestine.

Neither Huda nor anyone else could or dared to stop the Israeli soldier, who was fully armed from head to toe, or prevent him from taking anything in any place and at any time. This carton was pulled away very easily as you pull a hair from a dough, no proof, no claim and no objection. Huda stayed for years bemoaning that carton exactly as she bemoaned thousands of other things.

Was that carton carrying all the documents?

After education comes marriage .. that is the rule of Allah over his creation .. and that is the faith of poor servant of Allah .. that the money of education and marriage shall be made available and blessed by the Creator.

Was it possible for the little girl to stay away from that political and enthusiastic environment?

She joined the General Union of Palestinian Students in Cairo and the Union of Palestinian Woman. She also participated in the political discussions with different party members and with leading figures in the Egyptian State. She was waiting with her friends for the great victory in the coming battle with the Israeli enemy as the «Conqueror» and the «Victorious» rockets as well as the torpedoes of naval ships and the tanks and equipment of the army and its aerial, naval and terrestrial equipment will no doubt end the war with victory.

When the crushing defeat took place in 1967 and the girl walked in Cairo streets with the crowds to condemn the withdrawal of the "Leader of Nation" as a confession of defeat, and when things calmed down, she couldn't go back to her house in Ramallah in Palestine because borders have moved from their first location and another lands were annexed to the Israeli occupation.

Will wars end? Will the human suffering stop?

Wars, since Adam's time and till God inherits the earth and what's on it, will continue. Killing Abel by the hands of Cain was just the first war in which the world lost quarter of its residents.

Anyway, life doesn't stop and Huda's responsibility of teaching her children must continue .. she still has two sons - khalil and Mahmoud - who were born after the calamity.

Khalil traveled to Cairo to study communication engineering and then Mahmoud traveled to England to study engineering too. Mahmoud continued his study until he obtained the PhD certificate from the University of Manchester in England.

Occupied Lands

When her youngest daughter traveled to Egypt to study in Cairo University, Huda couldn't imagine that her daughter will not be able to return to her home in Ramallah because of a new war. In fact she didn't say goodbye to her before she left for she felt it was a burden on herself .. she was her youngest daughter and the only one remained with her after the marriage of all her elder sisters. Huda thought that traveling alone might expose her to social, political or economic problems. In addition, she had no father then to carry the responsibility of her travel and expenses, but her daughter›s superiority at school and her determination to travel after being granted a scholarship from The United Nations Relief Agency (UNRWA) for teaching Palestine Refugees forced Huda to accept.

The mother didn't say much to her daughter .. only a word or two: "take care and make sure to keep the reputation of the family. Love doesn't come from the first sight, so don't make relationships with any young man who is not suitable to our family in terms of religion or social status".

Huda left her house to live with one of her relatives until her daughter traveled, because saying goodbye is painful.

Cairo was in the era of the big national uprising in the reign of "Jamal Abdul Nasser", who used to inflame the feelings of Arabs from the gulf to the ocean with his patriotic speeches. Palestine cause, expulsion of imperialism and resisting the occupation were the most important "topics" in all his speeches. In fact, Huda's family used to listen to all his speeches and follow his political stands one by one: nationalization of the Suez Canal; building the high dam; holding off the Triple Aggression; declaring unity with Syria; building Egyptian military force; importing Soviet and Czech weapons; fighting corruption; distributing agricultural lands on farmers; and many other causes which inflamed the enthusiasm of Arab citizens everywhere.

Didn't the poet "Bshara Al-khoury" say:

Ask heaven and time about us

Have we ever revoked a commitment since they knew us?

The chivalry rooted in us

is still running like fire in our blood

The entry of these trucks, its cargo and the rough roads in addition to the severity of the siege, scarcity of medical items in the college and the loyalty of this student were the talk of the whole city.

The young man traveled alone to Mosul and his mother was worried all the time about her son and his life in that far city .. how would she leave him to the unknown?

The college was new. It was established before two years only .. so how would she know he is all right?

She made up her mind and decided to travel to Mosul through Damascus to Aleppo and then to the east to reach the Iraqi – Syrian borders and from there to Mosul .. a long distance .. thousands of kilometers. She reached him, reassured herself that he is fine and then went back. What a long tiring trip it was!!

But the world at that time was not like today. The siege on Iraq today is from every side, and the western countries are planning to swoop down on it at any moment. Israel is also urging America to crash Iraq and demolish all its achievements .. so how can her son risk himself and his money and travel to Mosul?

Few days later, Mohammad loaded three trucks with medical items, the price of which were collected from his own money and from his relatives and friends, and went to Mosul to deliver them to his college.

When he entered the medical college, the dean and professors didn't believe their eyes. Some of them recognized this Jordanian–Palestinian student, but they never imagined that he would be back carrying their favor in his heart for teaching him and remembering the big role of Iraq in supporting the Arab nation causes, revolution Palestinian rebels including his uncle Khalid.

Mohammad had continuously heard about the heroism of the Iraqi army in the Palestinian war. He also read about the cemetery allotted for Iraqi soldiers in "Jinin". So if both of us didn›t attain victory in their struggles, should we betray our pledge?

Have we ever revoked a commitment since they knew us?

Mohammad entered the room and told his mother Huda about his intention to travel to Mosul in Iraq:

- Now, while the siege on Iraq is in its utmost?

- Yes, now and because the siege is in its utmost.

- But why?

- I studied medicine in Mosul and had been educated by the best Iraqi professors. They gave me the best of what they master of science, human relationships and care. The siege had consumed all what they had. So would you donate with me to buy medical items so that I can send them to the medical college in Mosul? They are now in dire need of first aid medical items, surgical threads, serums, injections, x-ray films, medicines and other things that you are not aware of which colleges of medicine need.

Huda immediately recalled the day on which he was accepted in the college of medicine in Mosul and how she traveled to make sure he was all right. That was in the early sixties. The financial situation of the family was fair, but it wasn't enough to spend on the house, children and university study too. So she sent a letter to her brother-in-law "Haj Khalid" in Beirut to ask him if he can help in providing a scholarship to his nephew to study in Mosul.

Haj Khalid was – by virtue of his job at the Arab Higher Committee – responsible for sending Palestinian students to study in the universities of some Arab countries and eastern Europe states. Haj Khalid agreed to send his nephew to Mosul.

velopment" and one in Zerka under the name "Arabic Jaffa Society" in the year 1990. Jaffa girls participated as a basic element in the Society in Amman. Iftikhar, Izdihar and Rawda were members in the successive Administrative bodies of the Society. They all participated in all its performances, social and funding activities in addition to the discussion and reminiscence evenings.

On the other hand, Iftikhar shared in the preparation of a book under the title "Jaffa Scholars" published by the Society. "Rawda" also had been the chief editor of "Floka Periodical" magazine and arranged for a play under the title "Iskandar Awad Street" - one of Jaffa›s important streets – which shed light on an important historical era of Jaffa as well as the details of the incident of the six-month strike in 1936 and how the British pulled down its trade area with the lanes and narrow houses with the pretext of beautifying the city, whereas the purpose was destroying Arab rebels who used to hide in these alleys away from the tanks and machines of British soldiers.

Jaffa history have never been and will never be obliterated from the minds of its people .. the names of its old neighborhoods - "Al-Ajamy, Al-Nuzha, Al-Manshia and Sakanet Abu kabeer" – will never be forgotten and will be kept in their minds and souls .. "Abu Naboot", "Khan Al-Dirhally" and "Al-Mahmoudia " drinking fountains will remain implanted in their minds. In fact, every stone or tree in Jaffa has been turned over and searched in beneath and from behind to look for the history of this beautiful city.

History of Jaffa

Jaffa is one of the oldest coastal cities on the Mediterranean .. the heart of the old world. They say that its name "Jaffa" came from the Canaanite word "yafo" which means "the beautiful". So it is the beautiful city, and it is really beautiful - as agreed on by all the people who have seen it. Maybe the high hill on its coast, its soft sand and its trees have given it all this beauty .. or else, how is it different from the coastal cities on the Mediterranean?

Why do historians, tourists, its residents and its name assert that it is a beautiful city?

Very many books talked about Jaffa. All the military campaigns since the reign of "Alexander of Macedon", or rather since the time of Pharaohs and the civilization of Mesopotamia, talked about Jaffa and how armies entered it .. how it was occupied or how its garrison defended the city or how invading armies retreated without being able to break through its walls. All world encyclopedias, old and new, talks about Jaffa, its harbor and the wars that took place on its soil. All ancient and recent books allocated considerable number of pages for Jaffa. When the calamity occurred and Jaffa›s people dispersed all over the world, and when nostalgia started invading their hearts, and when the Palestinians and Jaffa people brought themselves, their minds and thoughts together .. and when they felt their pens, books started to be published about Jaffa. One can find such books anywhere - for instance - "Jaffa the Eternal Longing" by Sameer Fawzy Al-Haj; "Jaffa: Scenes of Yearning and Nostalgia" by Taher Qalyubi; the encyclopedia of "Pretty Jaffa" by Ali Al-Bawwab; "Jaffa History from the Oldest Centuries to Present Time" by Ilyas Al-Ranteesy; "Between Home and Exile" by Shafiq Al-Hoot; "Stories about Jaffa – Memories" by Khairy Abul Jebeen and a lot more.

Founding a Society for Jaffa›s sons took too much time. However, two societies were registered; one in Amman under the name "Jaffa Society for Social De-

Did she remember the skirt which she sewed when she was young and drew on it the united Arab countries? Then, clothing is a battle and a national motto, an ideology and advanced thinking, a struggle and self–confidence. it's a feeling to be proud of the past, present and the future. The woman who used to wear the dress in the field can wear it in saloons or in big parties, and the woman who used to milk the cow with her traditional clothes can continue her education in a traditional or improved outfit. Why then do we escape from the past while we should embrace it with admiration and capability?

Having this belief in mind, Intisar started to develop the Palestinian people's heritage so as to enter rich houses, grand celebrations, royal palaces and ordinary occasions and thus brings back the memory of the cities of Jaffa, Gaza, Naqab, Ramallah and Jerusalem.

This is the stitch of the cross and that is the symbol of wheat spike .. those are lilac flowers .. this is a daisy and that is the bird of heaven. This seam is suitable for the front of the dress or its sleeves and that is suitable for the sides of the dress or what is called "Bayaniq".

Anyway, the colors of silk strings, the taste of the lady who is stitching, the neatness of stitching and its density and the types of embroidery differ from one city to another and from one social class to another.

The attack of the Zionists, after attacking the Palestinians' lands, houses, furniture, water …etc. has reached their heritage, embroidery and clothes. Zionists took advantage of skilled Palestinian hands and stitched dresses, which they claimed to be theirs. Intisar took notice of that early and returned the eastern outfit to eastern women. She was creative .. she invented, modernized, developed and made use of the skill of Palestinian woman in stitching. She also instilled love of this profession in thousands of ladies who practiced this job. In fact, numerous Palestinian families in camps could send their children to schools and universities from the revenue of stitching!!.

A Stitch of Embroidery / Identity of Homeland

Every stitch of embroidery is an identity .. every peasant or Bedouin dress is a whole city .. and every Palestinian village has its own identity and dress and has its own customs and traditions as well .. so who would keep this legacy and this identity? and who would gather these villages and cities to weave the country?

Who would bring back to peasants in villages, the seasons of their feasts, their happiness and sadness and the memory of their home? and how .. after the land has been lost and people left their houses and scattered around the world: to the gulf countries, to Lebanon, to Syria and Egypt, to America, Canada and Latin America. The Palestinians emigrated to all parts of the world and no longer carrying a pestle, a pounder, a dress, wheat or barley.

People had forgotten the seasons of harvesting, plowing, threshing of grain or squeezing olives .. they had forgotten seasons of storing cheese, making ghee or drying figs .. they had forgotten or pretended that they had forgotten their heritage, their customs and traditions. Wearing the peasant's gown or "thobe" became a dubiosity or say a shame that a woman carries over her body and head.

"Civilization" has become changing the outfit and imitating the West. Trousers is now more civilized than the Palestinian's loose pants "Sirwal". Long evening gown is now classier than the peasant or Bedouin long gown. The European suit substituted the cloak. The traditional costume is now associated with peasantry in its inferior concept away from civilization .. and Palestine was losing its most important features .. that is the outfit.. the identity.

Intisar pulled herself together and decided to "attack" this false modernity by holding up high the national outfit.

first Arabic printing press after the destruction of tens of printing houses during the Israeli occupation.

Iftikhar also shared fundamentally in instituting both the "Union of Palestinian women" in Kuwait and the atelier of "Baitul–Maqdis" to introduce and to acquaint people with the Palestinian heritage, through which she supported the commando work either by cash or in kind donations.

She worked in teaching in Kuwait pubic then private schools. Kuwait opened its arms to all nationalities to work in it. The Palestinian community had grown and competed with Kuwait students in their schools. It is true that many teachers were Palestinians, but benches of study were not enough for the Palestinians. So, when Kuwaiti government prevented Palestinians from entering public governmental schools, Iftikhar, her sisters and their husbands shared in opening a private school for Arab children and young students. Thus, "Al-Manhal School" was one of the pioneering private schools in Kuwait. Later on, Iftikhar moved to Amman with the school, which became one of the best schools in Jordan .. education, values, manners, devotion and patriotism.

When the first delegation of Jaffa's Arab residents came to Amman, the meeting was strange and odd. These forgotten people – the people of the cave – returned to their Arabic home and lap, but the Arabs and the Palestinians feared them.

They said, "We are the ones who stayed in Jaffa after you left it. We withstood, sacrificed resisted the fence of death and the big prison. We were trapped by the Jews, who prevented us from living in our own homes. They confiscated our houses in front of our eyes, but we were firm and patient .. and here we are after the revival and after breaking the fear impediment .. we are back to you to stretch bridges of love, so why are you scared from us? why do you consider us strangers?"

The equation was difficult: Are they our relatives or people with Israeli citizenship? Are they the remains of home or bridges of normalization?

Jaffa won. The Arab blood was victorious over the Israeli ink: the ink of Israeli passports. Iftikhar, her sisters and their friends supported Arab existence in Jaffa and extended bridges of cooperation with its people. They helped in establishing a school for Arab children in Jaffa so as to teach the Arabs the language of their country and their religion. They also supported the foundation of the

Making Use of Education

Iftikhar, on the other hand, had another story. She never left the school book or shut the lamp beside her unless her father comes, takes the book from her, turns off the light and tells her that she should sleep. He used to say, "enough studying dear daughter .. sleep now". She used to help her sisters and her mother and studies .. cleans the windows and studies .. finishes cleaning the stairs and studies .. wakes up early in the morning and memorizes her lessons or reads poems or listens to the holy Quran. She wouldn't be contented unless she was the first in her class for she always heard her father saying:

"Education builds houses with no support

And ignorance demolishes houses of glory and honor"

Will her role in life be to raise the mainstay of her father's house or to demolish it?

Isn't it enough that the Zionists are pulling down the villages and houses of the Palestinians?

She contributed in all school activities and had the leading role in school plays .. her beauty was captivating and her voice was expressive .. she had high ability in comprehending and learning by heart.

As soon as she finished high school stage and took the "Matric" certificate as was called then, the bridegroom came.

Her father preferred marriage to all certificates, and so she got married and moved to Kuwait. Did her role come to an end in this life? Will she be satisfied just to give birth to children, cook food and wash the laundry?

craving and did not experience cooking because she was living in her mother-in-law's house.

When she smelled the food, she shouted and said, "Oh this is the smell of my mum's cooking, it is what I crave for".

This incident remained in the memory of her sister, Izdihar, who perceived that each nation has its own way of cooking and that everyone always longs for his mother's bread and coffee no matter how far he is from her. That is due to the fact that as humans inherit the genes of the color of their skin, hair and eyes, they similarly inherit – even if not biological – the genes which carry their parent's culture in music, customs and traditions, or in food and how to use spices, oil, grease and ways of cooking …etc.

From here was the start and the end. Izdihar published a book entitled "There is nothing sweeter than home cooking" which included five hundred recipes of food making of all kinds and forms. Three-quarters of the book represents Palestinian recipes.

This is the Smell of Mum's Cooking

Every human likes to be distinguished in some aspect from the others. This can be noticed from childhood. Some may be fans of a certain athlete and the child may prefer another athlete. The elder bother may like a certain dish and his younger brother may defy him in choosing another dish. This may choose the scientific stream in school study and that tends to adopt the religious thought. Distinction in certain issues is an idiosyncrasy in man's life and is the reason for having variety .. or else we would have been like identical robots.

In the mid fifties, Izdihar traveled to Kuwait with her husband who was a dentist. Her parents approved her marriage to a dentist, who owned a dental clinic downtown in Amman. They felt relaxed because their daughter would stay near them. Her sister Kamela was already faraway. She went to Ramallah which is about 70 kilometers far from Amman. They thought that maybe the second daughter would live close to them .. but Izdihar also expatriated and traveled with her husband to Kuwait after less than one year of her marriage. At that time, the journey to Kuwait by land was very dangerous and would take more than twenty hours as travelers had to go through the desert of Syria and cross Iraq through Baghdad and Basra on paved and unpaved streets.

When the third daughter - Iftikhar - got engaged and had to live in Kuwait too, her parents agreed and felt that it would be less loneliness to their former daughter.

Faraway from homeland, young women depend on themselves to make the kind of food they used to eat in their parents' house, and suffer until they master the special "savor" they want to reach in the different dishes they make.

That day the younger sister entered the older sister's house and smelled the food. That smell reminded her of her mum's cooking. She was pregnant and

again she had the right answer: "Who said that the twenty-year-old student will benefit from his certificate more than me .. life is in the hands of Allah). However, another obstacle stood in her way; she had to work in an official job to get the M.A. degree. Therefore, she applied for a job and succeeded in finding a job as a teacher in a high school for girls.

It wasn't easy for her to work for she had never practiced official work in her life .. but it is persistence to continue.

After obtaining the M.A. degree, she registered herself for the PhD degree in Egypt .. but matters became more and more complicated: a job here; traveling there; and the normal but increasing family burdens. It is true that children got older, but their concern has grown with them .. this girl will get married and that one wants to continue her education .. this boy is looking for a job and that one is looking for a bride .. and then you see the husband contented for one day and complaining for days .. he even makes up demands to distort her from studying .. and the PhD needs traveling weekly to Cairo to meet the supervisors on her thesis .. and the job also has its demands and requirements.

Did anyone have a favor in Kamela's dedication to get the PhD Degree? Did the people around her accept her "struggle" for the education that she was deprived from while she was young? It was only her strong motivation and determination to obtain the certificate and achieve her goal .. and she did. When she inaugurated her clinic for psychological therapy and education without medicine, the title of "Doctor" crowned all her efforts either for herself, her husband and children or for the whole family (her mother, her sisters and all her relatives and acquaintance).

It was a journey that deserved commendation and honoring for what she accomplished at the age of sixty was hard to be accomplished by youth at the age of thirty.

The Journey of Education

It wasn't easy for Kamela to bury her dreams about education and scientific certificates. It is true that she spent around thirty years between giving birth to her four children and raising them. She took care of them, sewed their clothes, stayed up at nights at times of their sickness, looked after them when they became teenagers, made birthday parties for them and received their friends and had a keen eye for their study (step by step), but she kept on dreaming of what she was deprived from; that is education,

It wasn't easy for her to convince those who were around her - her husband in the first place – about her decision to enroll herself for the high school "Tawjeehy" certificate from home. But finally she did enroll herself secretly and started studying with her youngest son, who was then studying for the high school certificate.

They both passed and they both submitted their papers to universities. Both of them were accepted and she was accepted in the University of Jordan.

Was she older than some of her professors and all her colleagues? Was she more motivated and disciplined than most of her mates? When was she studying? When was she visiting her relatives and receiving her friends and relatives as any normal wife?

Neither her husband not her children take this matter seriously. Everyone believed she would drop out and forget about the whole matter. But amazingly, she persisted and graduated in less than four years. Not only that, to everyone surprise, her average was "very good". The road was now open for her to get the M.A. degree .. why not?

She applied and met the officials. The only obstacle was her age .. but then

of “Sabra and Shateela”. Then “Izdihar” printed a book documenting Palestinian cooking and “Dr. Kamela” issued books about psychological treatments without medicines. In addition, “Rida” and her sister established a publishing house specialized in books of resistance for children.

Palestinians were evicted to all around the globe but continued to support his cause one way or anther.

Culture and Printing Houses

If talking was about Jaffa, it would be about asserting its pioneering role in culture and civilization; the number of its printing houses that issue books, magazines and newspapers; the number of its cinemas and theatres; the number of its sports, scouting and cultural clubs; and its mosques, churches, pharmacies, hospitals and schools..

Its harbor received artists and sophisticated people coming from Cairo "Um Addunya" (mother of the world) to Jaffa "Um Al-Ghareeb" (mother of the stranger). Its trains was going to the north, east and south.

Huda never let any occasion passed without mentioning her family's role in the cultural, political and social movement in Jaffa and showing the photograph of her husband's brother – Striver Khalid - carrying newspapers, publications and speeches which he used to deliver here and there to defend Jaffa and also talking about role in strengthening its defense before its fall and his responsibility in banning any merchandise relating to the Zionists and also about his keenness not to let the Palestinian youth visit Tel Aviv or deal with it.

She was also talking about her relative "Sami Al-Asfar" and how he was killed with his youngest brother "Shafiq" while preparing hand bombs to share in defending Jaffa; her memories about the explosion of "Dar Al-Saray" for orphans in Jaffa, and demolishing old Jaffa; and about destroying old Jaffa.

When the children grew older, every one of them felt that he has to continue what his parents started in fighting even if through different methods .. even if from Kuwait, Riyadh, Cairo, America, Canada, Latin America and anywhere else.

Her cousin in Kuwait printed an enormous book documenting the massacre

afterwards with a needle and a thread to make jasmine necklaces for her mother or for the guests, or tie ten jasmine flowers on a wooden stick and wrap them with a thread so they become a beautiful brooch that is fixed on the apparel over the chest and thus emits that sweet odor all through the evening.

What he really created from that "Meter of earth" was a squash tree which he looked after and thus produced a long squash fruit. He took the fruit to the exhibition of plants which was under the patronage of His Highness Prince Hassan bin Talal. The prince took a photograph with this long fruit, which was as tall as the prince himself, and Faheem was awarded.

Faheem was always bragging that the cluster of gapes from this meter of land weighs one kilogram.

Was he trying to convince himself or the people around him that he still owned orchards, gardens and farms? Was he still hoping to go back to Jaffa and its orchards and gardens and to Barbara and its grapes? Or he only did as most Palestinians did in the emigration countries .. farming the land around their houses or using tins or empty barrels for planting .. if the refugee came from a mountainous area, the first tree he would plant is olive and if he came the coast he would plant orange and lemon trees.

A Meter of Land

Faheem did not leave a job or a trade in Amman without trying it. His Jaffan neighbor traded in glass. He was importing it either from Syria or Turkey or even from Belgium .. and because Faheem mastered English Language and letter writing, he contributed in glass trade. When someone else was taking care of an olive farm and selling olive oil tins in its season, Faheem shared him in caring for the land and in selling. He also shared in agricultural products, which he perfected in keeping, in the agricultural products exhibition.

In Amman, he did not have any agricultural lands, and after all the lands and orchards were ripped off from him in Jaffa and Barbara, he started looking after one meter of land around his house in which he planted two vine trees; One called "Banaty", i.e. have small and seedless grapes and the other is called "Halabi" with big and sweet grapes.

In between, he planted a beautiful pomegranate tree, which carries orange pomegranate flowers on its brown branches and green leaves. Then, he planted one poppy tree no more. This tree is the basic tree for planting orange, lemon or grapefruit trees. The farmer can graft it with the flavor of the tree which he wants - orange, lemon or grapefruit - and the tree produces its fruit in the next year.

Oh! how many poppy trees Faheem planted with his father in their orchard in Jaffa .. and here he is in Amman planting only one tree and is not able to inject it as he wants. He is planting it only for memory for the weather is not suitable for it.

He then planted "domestic Jasmine" tree at the end of this meter of earth. A Jasmine tree with white flowers that produce the sweetest smell - in summer – that anyone who walks in or out the house can whiff. At noon, each day one of his daughters would pick these Jasmine flowers and fill a big tray to stitch them

had from their land and their houses which were made of clay in Barbara. She hopes she will go back to them some day for there is nothing prettier than the human own land and his house even if made of clay. “There we were born and to there we will return”.

Nothing was left to Um Khalid but some potter pots where she plants sage, basil or mint for the cup of tea which she drinks.

Whereas Faheem has nothing left but a meter of land to be farmed.

She then grabbed Kamela's hand and took her to the "simple" house which was built of bricks. She showed her a long rug made of colored wool strings and said, "Do you see this "mezwad", my mother and I weaved it".

The farmer's wife gave Huda and Kamela a beautiful carpet as a memory of their visit to Barbara.

After around forty years and between the clouds and thousands of inhabitants in Amman, the little girl visited Huda in her house and asked about her daughter - Kamela. The little girl now became "Um Khalid", but she is still illiterate and can't read or write and she wears the semi Bedouin or rural dress. She in turn emigrated with her family from Barbara because they were forced to leave even though Barbara's people defended their land with the little they owned. They were evicted under the threat of weapons, so they resorted to Gaza.

Zionists demolished their village as well as the adjacent villages: "Na'liya, Al Jubba and Bait Jerja". All the neighboring villages were destroyed and a Zionist colony was built instead.

The echo of Faheem's voice singing while feeding his wife Huda the Barbarawi grapes can still be heard:

Oh.. Barbarawi grapes.. Oh.. Oh

Oh.. clusters of gold.. Oh.. Oh

When Kamela met Um Khalid, she was holding a PhD certificate. She continued her university education with her four children. Um Khalid kept on saying "I wish my father taught me .. education is a bliss".

Though Um Khalid begot sons and daughters and some of them traveled to the gulf countries to work, she remained poor and regretted the bounties they

Oh Brabarawi Grapes

Faheem entered his house joyfully .. holding a "title deed" of a new land in his hand. He said to Huda, "your face brings fortune to me .. I bought forty acres in 'Barbara'".

Huda had never heard of this name so she said, "Where is this "Barbara", and why forty acres?"

"Barbara" my dearest lady is a village near Gaza city. It is away from Gaza about twenty kilometers to the north east. Do you know the railway connecting Haifa to Rafah? The land is on the western side of it. It is a rich-soiled land, but because it is parallel to the coastal shores of the Mediterranean and because of the muddy wetlands on the high hills, it is considered an arable land of first degree. In fact, its residents are very active in farming. The lands I bought are already planted with grapes – grapes that your heart desires. Next season, you will see bunches of Barbara grapes".

In his second visit to Barbara, Faheem took his wife and his eldest daughter Kamela to see their new farm. They saw sand dunes around it and fruit trees loaded with oranges, figs, Almonds, apricot, olives and pomegranate. They ate from cantaloupe, water melon and guava. Faheem prayed in the only village mosque, and Kamela found out that there is only one elementary school in the village.

The farmer of the orchard had a daughter in the same age of Kamela. While playing with her, Kamela asked the little girl about the name of her school, but the girl replied that she doesn't know and said, "I have never entered a school in my life and I have never studied. Education at school is only for boys. I help my mother in making carpets and rugs "Mezwad".

cestry who gained power over the lands of "Hijaz" and "Najd" and was promised to be the king of the whole Arab nation in Iraq, Syria, Jordan and Palestine and also the father to two kings in Iraq and Jordan would be exiled to a small island not having money for his food, and humiliated by the English governor of the island to the extent that he was forced to mortgage his nacreous dagger with precious stones for only forty Dinars?

The visit of the people of Jaffa to the city was catastrophic by all means.

Kamela said that she continued kissing the earth and rolling over it and afterwards she slept in bed for three successive days with all her body filled with red pimples and urticaria.

Ahmad, on the other hand, said that he entered his orchard and wanted to pick up four oranges as a present to his family in Amman, but was threatened with a weapon by the dweller of the orchard, who forced him to throw the four oranges, stepped on them and said to Ahmad, "This is not your land, go out from here". That day, Ahmad stayed in bed for two days crying on his land and his oranges.

Izdihar also went to look for her father's house .. and there in Jaffa, memories came back to her all at once. She recognized her school "Al Zahra' School" as well as "Al-Amiriya School" for boys. She saw "Al-Dajani" hospital, "Al-Nuzha" mosque and "Abu Naboot" public fountain. When she saw her father's house, she entered it and cried for two hours because she saw the room in which her brother Mohammad was born. The house was then occupied by two Polish families.

Intisar as well went to her elder sisters' school and cried in its the yard and on its stairs. She saw her uncle's house and recognized it as it was built on hill opposite the sea. She used to roll over that hill with her young cousins from top to bottom as the best game in the world.

When Kamela went to Jaffa, she recalled Barbara .. O what a memory it was.

One of them said, “Is this Jaffa which you were boasting about? I wish it stayed in my imagination and wouldn’t have seen it as it is now.”

The youngest daughter searched for her father’s house but she didn’t recognize it. She called her mother Huda in Amman to ask her about it. She previously met a girl in Jaffa city who she recognized to be Muslim from her clothes. She requested the girl to question Huda about their old house, but did not recognize it .. “Maybe time has muddled the memory”. However, she knew it from the hill on which old Jaffa is standing. Old house turned into houses for artists, where the house is sold for millions of dollars. On this hill, stood the old houses of Jaffa people .. and in “Cannon” coffee shop, which she heard about from her parents, all workers, officials, fishermen and owners of the orchards used to gather. The café of men whom interests mingled with their trade, farming, free and entertainment time. In this place, the arrangement for the big strike started .. the strike of the Palestinian people that lasted six months and was the longest strike in the history of the whole world.

Although all what surrounded her suggested the occupation, a small circle on the ground stopped her for a long time .. it’s the cover of a manhole for water draining. An Arabic writing was still printed on it .. just Arabic words “The Palestinian Casting Company” .. then this city was really Arabic. The British stayed in it with their garrison and gradually turned it into a mixed city where English language is mingled with the Hebrew language. Oh how mean Britain is. It gave the land of others to people whom they wanted to get rid of .. they afflicted us with their ordeal to be at ease. How bad the British are. They really are the origin of affliction and ordeal. They tricked “Al-Hussein bin Ali” Sharif of Mecca to revolt against Ottoman Turks and promised him with one Arabic kingdom to sit on its throne as the king, and then abandoned him after he helped them defeat Ottoman Turks. They gave him nothing but an exile in a small island in the Mediterranean where he died not owning any money for his food or drink.

Can any sane person believe that this “nobleman” the son of honorable an-

Has found only her front.

Leave to me all this death.. O sister

Leave this loss

For I add it as a star on her distress

Oh my obstinate wound

My home is not a suitcase

And I am not a traveler

I am the lover

And the land is the beloved!

After the souls calmed down and the fire blazes and anger quenched, people of free Palestine started visiting Palestine under occupation. Young children saw Jaffa and were stunned. Jaffa's picture was crushed in their minds. They saw a wreckage of a withered city with no vigor or brightness. They did not see green orange orchards .. they did not smell the nectar of orange flowers. They did not view "Iskandar Awad" street or "Jamal Pasha" street or the "Clock" square as was described to them. They did not see the harbor or ships berthed at the shore. It was rather a semi harbor or say a small part of a port that had a big name in the past. They searched for Jaffa's mosques and churches and what they saw was a small mosque which their parents told them about .. that is "Hassan Beik" mosque. What was known as the big mosque turned into a small flimsy building with no life. They haven't heard about any printing house in Jaffa, as if Arabic language is no longer printed in books, magazines or newspapers.

And was.. and was..

And the heart was choked with sorrow..

Mahmoud Darweesh wrote back:

We weren't before June as young pigeons and so our love was never crushed between the chains

We.. O sister for twenty years

We don't write poems

But fight

Your voice tonight

A dagger, a wound and a bandage

And a drowsiness that came from the silence of the victims

Where are my folk?

Came out of exile tent and returned

Once again as captives!

The house of the beloved is deserted

And Jaffa was translated till the medulla

And the one who is looking for me

(What the days did to you O house?

And where are the dwellers?

Did you receive after remote

Did you receive any news?

Here they stood

Here they dreamt

Here they painted projects of future tomorrow

So where is the dream and the future ? where are they?

Where are they?)

The house wreck never spoke

Only their absence spoke

And silence and emigration

And here stood owls and ghosts

Stranger of face, hand and tongue was flying in its corners

Stretching his roots in it

And was the commander, the preventer

A Visit to Jaffa

When the door was opened outward instead of inward, and when Nablus, Ramallah, Tulkarm, East Jerusalem, Jericho and Jineen became under occupation, and when the Palestinians of the west bank fell under the Israeli control, the poet of Palestine "Mahmoud Darweesh" received the Palestinian poet of Nablus "Fadwa Touqan". Their meeting was sad because instead of meeting together in the independent part of Palestine, the occupation spread to include the two parts of Palestine.

That day, Fadwa Touqan said in a poem under the title "I Will Not Cry":

On the doors of Jaffa O beloved

And in the mess of wrecked houses, between the rubble and thorn,

I stood and said to the eyes:

Oh eyes let's stand and cry

On the remains of whom they left

Calling who built the house

Announce the death

Who built the house

the heart is pounded

And the said:

The number of Huda and Bakriyya's families became by dozens .. females and males, grandsons and granddaughters .. grandsons' wives and granddaughter's husbands. Any meeting between the two families would turn into a discussion circle about the political situation .. this group supports "Yasser Arafat" and that group is against him .. this group accuses Syria of the crime of "Tell Al Zaatar" and that group accuses nobody but Israel in all the crimes against camps .. this blames the Palestinian commandos for the battles of "Black September" in Amman and that gives them excuse as the road to Palestine has to pass through the Arab capitals .. this one is in favor of peaceful solution and that one accepts nothing other than the rifle.

All the detailed matters in the Palestinian cause are critical.

Some individuals had got very rich and started spending their summer vacations in Europe and American spas .. some owned houses in Cyprus, Spain or California .. others had one, two or even four cars parked in front of their villas in "Shmeisani" or "Al Hussein Mountain" or "Al Rabia" rich areas. Some sent their children to obtain American or Canadian nationalities to be able to travel with a "respected" passport wherever they wish, especially in Arab countries. Grandchildren became doctors, engineers, teachers managers and technicians .. daughters and granddaughters got married to ministers and men of high positions in the Arab States to which they resorted either in Iraq, Libya or Kuwait, while family ties remained strong among them all .. and as is always the case, there were also a number of grandchildren who remained of average income.

Yet, all of them unanimously agreed - in any meeting on one thing .. that is "returning to Palestine no matter how long it takes and no matter how different paths are.

The Right to Return

Would it be possible for Faheem's family, Huda or any of their children who were loaded with the memories of Jaffa and its orchards, plains, sea and sand to forget any of them after being prevented from approaching it or go back to it?

All civilians who ran for their lives and the lives of their sons from the enemy grenades and bullets return to their homes after the battles calm down except the Palestinians, who were banned by the Jews to enter the Palestinian territories and killed whoever tried to go back. Many Palestinian young men attempted to return to their countries either on foot from the northern borders between Lebanon and Palestine or swimming in Jordan river between Jordan and Palestine or even by land in cars or on the donkey's back or by sea in ships, but unfortunately none of them could do that because the bullets of the Zionists and their prisons stopped them.

How many families of Jaffa and other families had had their money kept in their houses' safes and tried to go back to take it? How many families hid golden chains, bracelets, their women's and daughter's jewelry and golden liras under floor tiles or in bed believing that they will return to their houses and take them? None of them could. All those who left their houses under the threat of weapons, believing they would come back when battles cool off, were waiting to return for the Arab armies would grip like "pincers" from seven Arab countries: Syria, Iraq, Egypt, Yemen, Jordan, Saudi Arabia and Lebanon.

Those Palestinians, who defended Palestinian cities and villages and were killed or couldn't keep up because of their small number, bad weapons and insufficient training, kept planning to go back to their homeland.

Israel remained - and still is – afraid of "the Arab population bomb". It kept on hoping to throw the people of Gaza, for example, in the sea to get rid of them.

embrace his children can he have to be lost ?

Houses were lost and pulled down .. safety was lost .. and dreams vanished.

Only one sound was raised .. the sound of the guns and commando work. Hence, victory prevailed in "Al Karama". After many months of the crushing fall of 1967 war, victory was accomplished by Palestinian commandos and Jordanian Army troops who defeated the Israeli army which was described as undefeatable.

Six Days

How can six days turn life over upside down? How can six days shake earth and feelings, dreams and hopes, reality and expectations? Six days carried all the Palestinian people or the whole Arab nation upwards and then threw them onto the floor.

The Arab nation was waiting for those six days eagerly to erase the occupied State from existence but then wished it never witnessed or that time would have stopped then as the video machine is stopped by pressing on "pause" button.

What would have happened if time stopped and leaped over those days? Why were dreams magnified greatly and then melted in one second? What is the value of six days in human history?

They were six days that equaled the human history itself .. that equaled the defeat itself as well as the hopes and dreams that crashed.

Huda had sent her son Mohammad to study Medicine in Iraq, and sent her daughter to study Pharmacology in Cairo, and then she sent her other son to study Engineering in Cairo too for emigration must not paralyze her son's study no matter how bad the financial and social circumstances are.

She then moved to live near her elder daughter in Ramallah to get far away – even a little - from the memories of her house, husband and sons in Amman.

When the devastating earthquake shook this nation, and after Israel seized what was left of Palestine land, displacement and emigration knocked the doors of the Palestinians' houses one by one. How many emigrations can a person endure in his life? How many houses can a person build to be demolished? How many pieces of furniture can he buy to be destroyed? And how much safety to

graduated from Arab and American universities as engineers, doctors, teachers and PhD holders. What Kuwait bestowed on them was obvious and in return they gave sweat, youth and work day and night in order to keep this bless.

When commando work started in Palestine, "Yasser Arafat" managed to deduct five percent of all Palestinians' salaries to his military revolution against Israel for commando work.

After the year 1967, everything changed.

The Palestinian society in Kuwait was expanding and getting bigger. Mr. Darweesh Miqdady, an inspector in the Department of Education in Kuwait, nominated hundreds of Palestinian girls to work in Kuwait as teachers in its schools. He provided housing for them in special houses for teachers, and as the stranger have compassion for other strangers in foreign countries, the sympathy of the sister towards her sister, the brother towards his brother and the uncle towards his niece was greater.

Huda's daughter was seen off with lots of sadness and fear. Huda urged her daughter to follow the qualities of prophet Mohammed (peace be upon him), namely: maintaining family ties, sincerity, hospitality and supporting others in times of adversities. Those qualities were necessary for our dispersed people for they had to prove their competence in work and earn their living.

Fatima had all these qualities in her character: she took care of her relatives; she was sincere and very hospitable; and she helped anyone in distress. She left the sweetest memories, the deepest relationships and the happiest moments of intimacy and truth.

"Ahmad" the girls' uncle moved from Zerka in Jordan to Kuwait. In fact many refugees who lived in Zerka left it to the countries of the Arabian gulf.

In Zerka, there was only a camp for the Jordanian army. Its land was merely a dry sand and its air was saturated with this sand .. its water was scarce and work opportunities were little. Refugees lived in it and started forming a city that got bigger and bigger day after day. However, the young uncle, who learned in "Al-Azhar Al-Shreef" in Cairo and mastered Arabic, English and Hebrew languages as well as engineering science, aspired to improve his situation, which would never improve in that poor community.

Kuwait opened a sustenance door for the Palestinians. The uncle was employed in a good job, and his sons and daughters studied in Kuwait schools and

Oil flows

When oil began to flow in the Arabian desert and the "Salt Cities" developed in Saudi Arabia, Kuwait and the Arabian Gulf, the door was opened wide to Palestinian refugees to go and work there.

With the death of the paterfamilias and after his salary stopped, the family members had to handle the situation. Thus, Fatima traveled to Kuwait to work as a teacher in its schools. It was the first time for one of the family members to ride a plane. There was a fusillade of questions. "Can anyone walk inside the plane? How the cup of water does not fall from the stewardess? What do they serve in the plane? Are you afraid of riding a plane?"

Huda, Fatima's mother, didn't care about any of these things for her big worry was "how can she let her daughter travel alone to Kuwait? Would her father (had he lived) accept that she travels to support her family?

In Kuwait, the Palestinian society expanded, as if a Palestinian city was established there. Public neighborhoods and big residential buildings occupied by Palestinians only. People got rich and compensated part of their families' suffering. All Palestinians paid part of – if not most of - their salaries to their families in the Diaspora tents and to the places they emigrated to.

From its money and the sweat of the youth, children studied, ate, drank, played then got married .. From its money and the sweat of youth, houses were built, furnished and different electrical equipment were bought .. From its money and the sweat of the youth, military action was activated against the Israeli occupation.

The two elder sisters traveled to Kuwait with their husbands. How will this girl travel alone? Where will she live and with whom?

Were those parties for the good of the Palestinian cause or just enhanced the suffering of Palestinians wherever they went?

in Jerusalem - Palestine in 1953 as a natural reaction against the defeat of the nation in the pretext that victory would not be achieved unless one is adhered to Islamic invitation and succession. This party is politically and religiously fanatic with illiberal thoughts.

All the family startled by such fanatic thought. The fiancée insisted on repealing the engagement. That was a big problem especially for the mother who was supporting the prevailing belief that divorce – though it is not forbidden – is socially unaccepted.

Arguments continued among the family members days and nights .. should she annul engagement and the matrimonial bond and become "divorced" or be content with her fate and time may change the concepts of her fiancé?

The girl humiliated herself to her father and mother. She said she would rather be a maid in their house than to marry a man with a bigoted, old fashioned mentality.

She threatened them with death should she was forced to marry him. She never touched any of his gifts.

When her father pleaded with the judge to annul the matrimony bond, she gathered all the presents and gave them back to the ex fiancé one by one and closed the door behind him.

The liberation Party was one of many political parties which filled the Palestinian arena as a natural reaction to the defeat which hit the nation. People of Palestine across the Arab country joined various parties and political fronts: Socialist Arab Baath Party, Communist Party, Arab National Party, Syrian Social Nationalist Party, Palestine Liberation Front and Popular Front of the Liberation of Palestine … etc.

Ameena Al-Sa›eed

Egyptian writer - Ameena Al-Sa'eed - had a special status in the life of Huda as well as her daughters.

"Eve", "The Crescent" and "The Photographer" magazines were delivered to their house on regular basis, and Ameena Al-Sa'eed corner under the headline "Ask Me" used to arouse constant arguments among the family members for her daring, advanced and liberal views. She was encouraging girls to gain all their rights in education and to obtain the highest certificates; to finish the preliminary study and enter the university; to work in both governmental and non governmental jobs; and to take their natural role in political life because they constitute half of the society and thus society must listen to them and support their creativity and accomplishments. Ameena never accepted frivolity or negativity of women but rather urged women – either in her articles or through her answers to readers' letters – to have their own decisions and cling to their rights.

Faheem – in turn – supported that view. He believed - since he was a trustee on the endowment of the family in Jaffa – that the female has the same rights as the male. In fact he fought a judicial battle in Jaffa to prove that the endowment money should be distributed to females as to males and argued that the text of the endowment heritage limited the revenue of the endowment to the sons of Haj khalil - the great grandfather who left the endowed – and sons in Islam means all the children – sons and daughters. By that argument, he won the case at that time and persisted in clinging to his beliefs in the girl's right to education, work, and inheritance, i.e. to be equal to her brother.

Unfortunately, the family was shocked when Faheem's daughter's fiancé prevented her from reading social magazines, specifically "Eve" magazine and precisely Ameena Al-Saeed's writings. That educated fiancé was a member in the "Liberation Party", which was established by Judge "Taqiuddin Al-Nabhany"

- Mohammad, recite Surat “Al-Naba›” …

- You Khalil, spell the word All right “La Ba›s”, where do you put the “Hamza” - separate or above the Alef?

- You Intisar, What did “Ameena Al-Sa›eed” say in “Eve” magazine on the topic of “child abuse”?

Constant teaching and persistent follow up of every issue no matter big or small in the lives of youngsters .. and a detailed analysis (and maybe boring) of the school certificate of each son followed by beating with a stick on the “buttock” of every one who neglects his homework, who does not memorize his lessons and who does not recite the verses of the Holy Qur›an as he should.

On the Roof of the House

Faheem didn't find enough space to do what he used to do in his orchard in Jaffa. In the orchard he raised rabbits, chicken, pigeons and many other domestic animals. He used to skin the rabbit and send it to be cooked at home, so one would feel that a stuffed sheep is on the table. He also used to pull out feathers of young pigeons and send them to be cooked too, so one feels that there is nothing tastier than stuffed pigeons. He was picking up the eggs of the chicken every day to fill the platter with white or brown, big or small, one or two yolk eggs.

All the people in the Palestinian cities and villages used to live from what their farms produce. Each house is surrounded by a small or a big garden that produces what may cover part of his house needs .. olive trees give him olives and oil all through the year. The bushes of tomato, onion and eggplant are enough for his consummation and even overflow. His cows and goats, which give him milk to make yoghurt and cheese, are fed on grass. Eggs are from the house chicken and the birds flesh is from the bird's house too. All peasants and farmers are almost self-sufficient.

When Faheem couldn't find any space in Amman for such matters, he surrounded the roof of his house with a fence and established a farm of poultry and birds. He built a work of art of what is called "birds› tower". He used to let birds fly in the morning and then calls them back to him so they come to the tower and stay in their house. Furthermore, he would put them on his hand or shoulder so they stand peacefully and calmly. At those moments, he used to be very happy and calls his young children to see him .. but their attendance would not pass without education!!

- Rida, what did you read in the "Defense" newspaper today?

- What did you memorize today, Fatima?

She spent thirty years with him .. what on earth would be the archive that can keep all the memories - sweet and bitter; positive and negative; in war and in peace.

But it is death, the end to every living creature.

The memory of the husband with wife and children remained .. maybe as Huda used to say: "Grieving on somebody's death is like soap that gets smaller and smaller but never vanishes or melts".

In the coming days, Huda would thank Allah for her husband's death before knowing about the disunity between Egypt and Syria and before living the tragedy of the Six-day war in the year 1967. But she would always remember and appreciate his role not only in raising and educating their children, but also in helping them get married.

Yet, on that day, when Allah granted him the baby boy, he did everything. He did all the vows, customs and traditions. He lengthened the baby›s hair, then he took him to Hebron city and shaved his hair for the first time and then he slaughtered sheep to distribute their meat to the poor near the mosque of Prophet Abraham "Khalil Al Rahman".

He made a "congratulation" party to all the neighborhood ladies and gave candy to all their children. He also bought all the infants› stuffs for his baby from the most famous shops on Iskandar Awad street in Jaffa and from Egypt .. and when little Mohammad got stuck in the orchard's fence while playing, his heart almost stopped as he was the boy after six girls.

Her son Mohammad was standing in front of her at that moment, feeling sad on his father's death although he was not aware of the meaning of orphan or widow. He was almost ten years of age and had a sister and two brothers younger than him. Who would take care of them?

Each day her husband used to enter the house at exactly two thirty in the afternoon because he was an official and committed to work hours. He used to leave the house at seven thirty in the morning, carrying what she could provide for breakfast: a loaf of bread, tomato, seven olives and a piece of cheese. When the clock rings to announce two o'clock in the afternoon, she would have finished cooking the rice as well as chicken or meat with Jews mallow, string beans or okra. Who would knock at her door after his death? Who would bring young pigeons for her to cook? Who would recall the seasons of drying the Jews mallow when her husband used to bring tens of kilos to pull out their leaves and spread them under the sun to dry? Who would bring okra or string beans for her to cut and fry or to dry? Who would carry to those children water melon by tens to eat one by one and to roll them along to each others to store them under the bed? Who would bring tins of oil, cheese, wheat and toasted green wheat "Freekeh" in their seasons?

parties where artists from Egypt and Beirut come to present a performance to summer vacationers while sea breezes blow gently onto their faces.

There was nothing better than the joy experienced in Robeen's summer resort. No family - no matter how little their income was, might miss such pleasure in Robeen.

When the memories of Robeen finished, she remembered him when he shared his mirth and happiness with his neighbors, acquaintance and his workers in the orchard when his son - Mohammad - was born. It wasn't true that he was glad for having a girl and never longed to have a boy who would carry his name. On the occasions of the births of his daughters, and when receiving the good tidings that a female came, he never showed any upset but rather reassured her that as she conceived females, she would conceive males and told her not would be angry or sad.

Whilst after giving birth to a female, she used to face the wall refusing to look at him as if to admonish herself. She used to blame and scald herself because she didn't bear the boy, whereas Faheem used to comfort her. He used to carry the baby and play with her while still in the "swaddle" and tells her that the child is a gratification from Allah, Lord of the worlds. How many times did he repeat in front of her verses (58 and 59) of Surat Al-Nahl (the Bee): ((And when one of them is informed of [the birth of] a female, his face becomes dark, and he suppresses grief. He hides himself from the people because of the ill of which he has been informed. Should he keep it in humiliation or bury it in the ground? Evil is what they decide.))

How many times did he repeat the Prophetic Hadith "Whoever had a daughter and taught her good manners and educated her well and bestowed lavishly upon her from Allah's blessings, she would become protection and curtain for him against Hell-fire".

Memory Archive

Which of the memories are harder on the widow and which are nearer to her thoughts and sentiments? Distant memories in Jaffa when Faheem used to come to her house while she was a young teenager and with whom she knew the meaning of love? Or after marriage and spending what is called "honey moon" with him? Or the recent memories in Amman and before his death and his compassionate relationships with his daughters, sons and grandchildren?

Does she remember her wedding with Faheem and the seven cheerful nights as well as the Henna party and dancing with candles on fingers? Or recalls "Robeen" summer resort when she used to go every year like all the people of Jaffa?

Faheem used to tighten tents with workers one after the other. Those tents for his brothers - Saeed, Ahmad and Mustafa - and their families, and those for his sisters - Rasheeqa and Faheema - and their husbands. That tent for his wife's sister Bakriyya, her husband and her children and the other tents were kitchens and bathrooms. Each family had its own kitchen and bathroom.

They used to spend the day either on the beautiful soft beach or in the tents cooking delicious dishes, while youngsters set off for their games and devilish acts .. girls with girls and boys with boys. That group swing on swings erected by the owner of the swings for one penny or two throughout the day. Another group goes to buy the "apple of Syria" and cotton candy then watch the wonder box where stories and illustrated novels are presented. The other group goes to the near market tent (a real market made of tents and presentation tables) to buy bracelets, accessories, suitable summer clothes, slippers and all what a tourist may need.

In the evening Lux lamps light up Robeen beach .. men sit in cafe's playing trick track and cards and smoke cigarettes and Hubble-bubble or attend musical

At night while I am awake and in my dreams

Oh father should I stay homeless

I will burry in Jaffa then some of my bones

For I may visit it after death

Then it will be the best place where I rest.

Nobody managed until this day to burry the bones of Jaffa›s people in Jaffa. Perhaps they visit it after death. In fact Jaffa's son - a very well-known on the Academic level doctor "Ibraheem Abu Loghod" needed an American Passport, a written will and influential American intermediary in order to be buried in Jaffa.

The cemetery of Jaffa's people, on the other hand, like all Muslim cemeteries in Palestine, is a place where the Israeli occupation frequently pluck out and sweep away with bulldozers to build gardens, stables or car parking over it.

started spitting blood and bleeding.

Her daughters rushed towards her while she was in her last breath. She asked them to take care of their father, their little brothers and their aunt "who has nobody in this life but her". Her soul came out of her body very quickly and with no trouble.

The news of Bakriyya's death hit Huda like a typhoon. Both emigration and the bad financial situation killed her, and too many children added to the horrible result. "Oh alas! my dear sister".

In death families all gather.

In death a poet said:

"Grief in the hour of death is double the joy in the hour of birth. In death the stranger feels compassionate towards a stranger and everything gets sad".

But death does not exclude anyone. It's very close in a way that always surprises people. Therefore, any individual›s death is a shock to family, relatives and acquaintance.

A few months later after Bakriyya's death, Faheem had a heart attack and in spite of the intensive care and all the medication he has received, death was at the door. Huda Became a widow while she was only forty years old.

The verses of the Palestinian poet "Mahmoud Al-Afaghani" were repeated in the death of every Jaffa's son or daughter. He wrote:

Jaffa, I send you my greetings and regards

Jaffa, I remember you in the evening and forenoon

Death

Huda had no brothers or sisters except her sister Bakriyya. Geographically, her sister›s house was far away from hers. However, when one of her daughters complained saying, «Our mother loves her sister more than us" and that "she prefers to give her more than she gives us", the mother raged and said, "She is my only sister and I do not expect my father would procreate another sister for me whereas you are my sons and daughters and you are ten .. if one dies (God forbid!), I have others to comfort me".

Bakriyya stayed in average financial situation. Her blind husband was not able to work in any job, whether sitting on a desk or moving. Her male sons were still young, in fact she gave birth to two of them after emigration in this small house which her husband built and added to it extension after extension whenever he had the ability, and the girls sewed to the neighborhood dwellers - who were also poor - for one penny or two or maybe ten.

Bakriyya was still young .. she did not exceed forty with ten daughters and sons. When she felt that she was pregnant, she couldn't believe it. Was she going to add to her worries? Weren›t there enough mouths to feed, educate and clothe? What would be enough for them? What could barely keep them alive? Her body was weakening more and more .. she was barely able to stand under the pressure of exhaustion and misery. Was she going to add another burden?

Quietly and without notifying any of her daughters, she went to the heaviest piece of furniture in her house and started moving it from one side to another. That was a common way of "abortion". It is a homely and active "curettage". The fetus would come down and she would be relieved. Then she brought a cup of kerosene and drank it to help in getting rid of the baby.

But God›s will was unavoidable. The kerosene had a negative effect and she

Aa-woo-ha unifier of the nation

Because his children were pleased to see their father's gaiety, his daughter "Fatima" decided to make a special notebook to write these songs and learn them by heart. She then collected all the poems and songs said about Jaffa and gave her father the two notebooks as a gift.

"Jamal Abdul Nasser", the President who were adored by billions of Arabs from the east to the west of the Arab countries, folded the page of the "triple Aggression" on his land and compensated his people with a unity with Syria .. to be as a "Pincers" gripping the State of extortion.. the State of enemy .. the Israeli occupation State.

How many times would people use the word "Pincers" to draw a simile on swooping down on Israel State, crushing it and removing it from existence? How many times?

Did this "Pincers" really fling? and what was it during the six-day war?

This is what nobody knew and nobody will ever know.

shared by unity of lovers

Brings us from door to door

With no barrier between the two

No one can stop what is between the two

No obstacle between the two

I am sitting on the pyramids

In front of me the meadows of Syria

I view them and view its noble people

saying to me Welcome good man

saying to me Welcome good man

No one can stop what is between the two

No obstacle between the two

And he trilled with the singer Sabah:

Aa-woo-ha and unity is concluded

Aa-woo-ha after austerity

Aa-woo-ha Jamal abdul Nasser

Unity

Huda has never seen her husband Faheem dancing or singing. In fact, he used to cry in his daughter's weddings and let people around him cry too. The wedding and farewell parties were opportunities for the father to show his eloquence. He would advise his daughter to follow the ten or twenty commandments on how to treat her husband and his family because she leaves the house in which she was raised in to a house that is new to her and people she has never seen before to live with a spouse who is strange to her and has different nature and different habits. Therefore she should be a servant to her husband and he will be a slave to her .. she should be happy to her husband's joy and grieve to his sorrow .. she should always help him bear calamities and be the wife that brings good progeny … etc.

That specific morning, Huda saw her husband chanting and dancing joyfully, and waking up his son Mohammad and his daughters to memorize with him - and for the coming years - the songs of Arab unity between Egypt and Syria.

President Jamal Abdul Nasser announced unity between Egypt and Syria. It was one of the most important Palestinians› hopes in specific and the Arabs in general that unity would be established between Arab countries in order to form a fearful and strong nation that would liberate Palestine.

The Arab broadcasting stations - Egyptian and Syrian radios started off repeating the songs of unity .. and Faheem danced on the tune as he never danced before.

He sang with the singer Mohammad Qandeel:

Unity never defeated by invader

When the father was informed about his daughter›s detention and that she was locked up in jail for trial, he praised her courage and asked her little brother to send a blanket to warm herself instead of seeking to let her out.

Palestine and the Palestinian cause had always been in the middle of each issue and in the heart of every individual in the Jordanian society. No occasion or event passed without delivering a speech on Palestine or Jaffa by one of the daughters or sons from different age or participating in a play about Palestine .. or even joining a party or a political movement with the slogan of getting Palestine back.

On that day, the girls - with the help of women employed for such occasions - start washing the house. Then they clean the stairs and the yards; decorate the trays and use expensive sets of tea and coffee; and put the best ironed and starched blankets in their places. After that, the girls prepare themselves and get ready to welcome their mother's guests and offer cups and glasses of juice, serve dishes of Muhallabia (rice with milk) or Zalabia and Zainab's fingers (Arabic desserts) and finally coffee and chocolate.

Through these events, the mother's connections increased. She communicated with wide segments of Circassians, Syrians, Jordanians and Palestinians, and in a short time, the families of her daughters› friends at school became her own friends. She no longer felt nostalgic for Jaffa and Palestine. In fact, the Palestinian cause and the struggle of its sons, the hideousness of occupation and the hatred towards the British and the Jews has moved to the Jordanian society and the Palestinian cause has become its cause. When the girls grew up and graduated from school, they became teachers who carried their issue with them.

The teacher held one of her student's hand, smelled it and said, "This is the smell of imported soap .. I refuse that one of my students uses imported soap", and so all students abstained from using imported soap or any imported stuff.

She sewed a skirt for herself by hand and stitched the map of the Arab world on it. She said to her, "You should sew your clothes and refrain from buying imported dresses".

All students loved the Arab world and the Arab unity and loyalty to one's country.

The political movements condemned Baghdad Pact .. and this ignited the students› enthusiasm - with their teachers support. They rejected such alliance and thus students› leaders were detained.

Amman Society

Society in Jordan and in Amman specifically was a mixture of residents who had come from different Arab countries and from ethnic racialism: Arab Bedouins, Jordanians who came from the Arab peninsula with Arab emigrations to the north, Palestinians who came to work in Jordan before the occupation of Palestine, people of Syria who settled in Jordan for work as Jordan lies at the southern part of Great Syria and where resorting was to flee from the tyranny of the French occupation to Syria and Lebanon. There are also Muslim Circassian emigrants who ran away with their religion from the Russian oppression against Muslims in Russia, then Armenians and Druze .. a mingled society .. and finally came the Palestinian emigrants in great numbers that might exceed the number of Amman dwellers themselves. Some of the Palestinian emigrants lived in tents, some bought lands and built on them and others bought houses.

The people of Amman mingled together quickly and in a strange way. The Syrian, Jordanian, Circassian or Palestinian male married a Circassian or Palestinian or Jordanian or Syrian female. There was no feeling of division, but rather acceptance to each others and marriage relations among many families.They called it the "Society of Ansar and Muhajireen" - like the brotherhood bonds established by Prophet Mohammed between the people of Mecca who immigrated to Medina (Muhajireen) with the people of Medina (Ansar). Families intermingled and ladies started meeting each others in what was called "reception day" - a day which the housewife fixes to receive her friends, neighbors and relatives or is fixed by another neighbor or friend to receive her with other friends.

The reception day at Huda's house was a day of rejoicing for everybody .. it became the day which made everybody forget the tragedy of emigration and being far from home. The furniture which they carried from Jaffa to Amman was a basic element in tidying up the house and to welcome guests.

The Palestinians in Lebanon, on the other hand, had another story that volumes can hardly describe. There was no travel document .. no chance for education or even for free honorable business. This in addition to religious racism .. this is a Sunni Muslim and that is Christian and the other is Shiite .. here you find the term "Settlement that turns digital scales of the religious majority" and there you find the term "Security of the camps" .. this is "weapon of resistance" and that is "weapon of factionalism" .. this is "Tel Al- Zaatar camp massacre" and that is the of " Sabra and Shatila camp massacre" .. this is "Samed Institution" and that is the "Institute for Palestinian studies". There were also active publishing houses which exploded the Palestinian creative energies and gave great renown and fame to writers and virtuosos such as Ghassan Kanafany, Naji Al-Ali, Abdulwahhab Al-Kayyali, Kamal Nasser, Kamal Al-Odwan, Yusuf Al-Najjar, Ali Salama and hundreds of those who worked for the Palestinian cause in various aspects until the Israeli hands of perfidy reached them and killed them at their homes or in their beds with their families.

Haj Khalid stayed in Lebanon as he was not able to move to or from it. He continued working with what was left of the "capability" of the Arab Higher Committee and its leader "Haj Amin El-Husseini" very far from Palestine and Jaffa and its cities and villages, but he kept on serving the Palestinian people in the Diaspora.

When Haj Amin El-Husseini participated in burying Haj Khalid in the martyrs cemetery in Beirut, he recalled his patriotism and his struggle whether in Palestine or when he traveled with him to Iraq and then to Germany to support the revolution and the rebels or when they were in prison or in Exile and then here in Lebanon after the "calamity". His only son "Waleed" stood to receive condolences. In fact, there is no real solace to those expelled from their own land.

Faheem stayed all his life unable to see any of his brothers or sisters who emigrated to Egypt or to any other Arab country!!

Aleppo camps, Lattakia and Homs camps enjoyed rights in many aspects but suffered a shortage in many other affairs. They did have the right to study in UNRWA schools or the schools of the State and its universities. They also have the right to work in governmental and private institutions, but at the same time they are refugees who possess travel documents which are not accepted in most of Arab and foreign countries.

Nonetheless, the Palestinian who is laden with the concerns of his cause opted to join a party that he thought might bring him closer even one inch to his homeland. That what Saeed's sons did .. they joined parties in Syria .. this one with the "Liberation party", that one with the "Muslim brotherhood party" and the other with the "Arab Socialist Ba›ath Party". Their concern was to explode political and national energies that may help them solve one of their lives› dilemmas.

When Faheem could travel to Damascus for the first time to see his nephews, he had a strange family feeling .. that is to meet a nephew or a niece after the brother's death.

The uncle returned with a sentence engraved into his memory for a very long time and whenever he recalls it, he cries and becomes sentimentally affected. His brother's wife said to him: "Very many days, weeks and months have passed during which we find nothing to eat except bread with tea for breakfast, lunch and dinner .. away from the endowment products and revenues .. from the orchard and its agricultural crops .. from Jaffa bounties, its sea and pastures".

Since education was free in Syria until university, the three sons graduated from the university and worked each in his specialty .. medicine, literature and economy. Some of them went to the university and some obtained the university certificate while detained in Syrian prisons. Oh, how much the Palestinian suffered in the Syrian prisons and how much these prisons ate from Palestinians› skins!!

In the Diaspora

Because Huda was a cousin to her husband Faheem, she had a feeling that her husband's relatives were her relatives. She was orphan with no mother or father and had no brothers. Her granny, who raised her, passed away some time ago. She was remembering her husband's brothers and their families with the feeling that the geographical and time space between them is so distant.

Was the Palestinian able to travel after the "calamity" from one region to another and from one country to another like the rest of human beings? How many years did it take two brothers or a sister with a brother to have a first meeting, and how was the life of a refugee in Syria, Lebanon, Egypt, Iraq or Libya ?

Faheem carried a letter that came in by mail from Syria and gave it to his wife to read it. It was from the wife of his brother "Saeed", telling them about the bad health state of Saeed. After a while, another letter was sent to inform them about his death!! Man dies and his brother cannot be with him or in his funeral .. dies and his brother cannot be there to receive condolences for his death .. dies and the brother cannot embrace his children to offer his condolences on their father's death!!

When Faheem managed to get a Jordanian passport, he went to Damascus to see his deceased brother›s sons and family. Oh how hard a disunion is and how hard emigration is. With the least income the family could barely live without a breadwinner in Damascus. With a travel document that proves the identity of that Palestinian, the family lived a hard life without being able to move to any country outside Syria!!

It is true that Syria embraced thousands of scattered Palestinians, but they stayed without identity or a passport by which they can travel easily outside Syria. Those refugees living in the camps of Damascus and its surrounding, in

also confirming the inevitable victory of Algeria.

When the Algerian struggle culminated in victory, everybody - young and old – felt that they shared in making that victory. In addition, the movie on the life and prowess of Djamila Bouhired played by the actress "Majidah" had a great impact on people and played a role in creating a beautiful feeling of heroism and victory. Such feeling was enhanced by the eternal verses of the Arabic poet "Nizar Qabbani", which repeated by Faheem›s family members day and night:

Djamila Bouhired is the name

Ninety is the Cell number

In military prison Bouhran ..

And the age is twenty two

Two eyes like lamps of a temple

And the Arab black hair

Like summer

Like a cascade of sorrow ..

How many events by which history would be marked? How many victories on one hand or defeats on the other hand were dated by Arab people and memorized in their collective memory?

fought to defend its canal, its people and its cities.

The family learnt by heart the words of national songs and repeated them day and night:

Allahu Akbar ..

Allahu Akbar above the deception of the transgressor ..

Allah is the best upholder to the oppressor

Oh land, come and listen ..

Transgressor's Army has come to kill me ..

By right I will riposte with my cannon ..

If I die I will let him die with me ..

Say with me.. say with me ..

Allah .. Allah .. Allahu Akbar

above the deception of the transgressor ..

And when Arab nations moved to support the revolution of Algerian people on colonial France, enthusiasm filled the house of Faheem, his girls and sons too. All schools, houses and streets were all talking about this revolution and its heroes, specifically "Ahmed Ben Bella" and "Djamila Bouhired". Part of the student›s pocket money was allocated for supporting the Algerian revolution. At the morning queue of students, the Algerian revolution was always talked about as well as the duty of supporting it. The Arab radio broadcasting stations were

History, Chronicle and Poems

Nations date its years with events that passed, like the year of the "tremor" or the year of "snow" and the year of "calamity" then the year of "relapse" and so on.

The collective history of Nations cannot be erased from the minds of children because children are double affected if parents interact at home with society in common causes.

The years of "National Spread" had a significant effect at home, in schools and society culminated in fending off the "Triple Aggression" on Egypt and liberating Algeria.

During the Triple Aggression on Egypt in 1956, Faheem – as all the rest of Amman residents – proceeded in painting the windows› glass with dark blue and sticking the adhesive tapes many long and wide lines to prevent injuries of broken glass from the night air raids on Arab capitals. England, France and Israel had already started a massive offensive on Egypt by land, air and sea forces as a reaction on the nationalization of the Suez Canal by president Jamal Abdul Nasser, who announced the canal a "Public Egyptian Company" through a speech that moved the deepest feelings of every Arab citizen from one side as well as the deepest feelings of the western imperialistic countries (England, France and of course Israel) on the other side.

A wave of national sentiments circulated in every house at the length and width of Arab countries expressing their support to the right of Arab nations to own their resources and sovereignty, and standing with Egypt against aggression.

War stopped upon the request of the two great powers "Russia and America" that ordered to stop the assault. That was considered a victory for Egypt, which

people must prove themselves through good deed and education. After those years lost on roads, vagrancy and lack of schools that suits the level of study which she reached in Palestine and after she was cut off from school, taking into consideration her dedication and success when schools opened in Amman, the most appropriate and topmost objective for her was to continue her university education.

The father, on the other hand, had a completely different opinion. Now that the groom with high pedigree came, his choice would be a "decent marriage" as marriage is the final aim for any girl in her age, and bearing in mind the six other girls behind her – three of whom at least are young enough to marry - so what is he waiting for?

Huda recalled the "diligence" and "carro" carts in Jaffa. When she was young, the groom's family had these carro and diligence carts. The first for vegetables and workers and the second for families and elegant rich ladies. Now their son is asking their daughter's hand in marriage, so why hesitate?

- If we restore our country and if we return to it, then no one will be happier than my daughter with this family, so why be reluctant?

Oh how much the "girl" cried for loosing her dream of studying .. but her cousin was married before her for years now and gave birth to many babies while still she was still studying. Is it logical that people call her an "old maid" or "spinster"? and if she was late in marriage, then her sister "Izdihar" will be late too. Will the community accept that?

Marriage took effect. If there is a measure to the level of richness in customs and traditions in weddings - Amman weddings and Jaffa weddings - then the measure would be in its lowest degrees .. for "Richter" seismometer has influenced everything.

Two Happy News

When Huda received the two happy news about her eldest daughter "Kamleh", she was so thrilled. The first one was about being granted a scholarship for studying in the American University in Beirut to get a bachelor degree in Mathematics and the second was that a young man from Jaffa, whose parents emigrated to Amman, proposed to her.

The groom was a prominent figure of Jaffa's youth. His father is "Sheikh" and used to teach students in Jaffa in "Kuttab Al-Sheikh" - A school in old days where children sit and recite Qur›an with the Sheikh - before the British Mandate, and then he headed towards trade. He became the owner of many orchards and, lands. He traded in oranges and imported foodstuffs such as rice, sugar, coffee, tea and spices which made him one of the richest people in Jaffa..

The Sheikh was teaching children as alms or charity for Allah the Almighty because his money, trade and estates were countless and his balances in Arab and English banks in Palestine were considerable to the extent that made him feel reassured about the present and future of his children and himself.

When they became refugees and deprived from their trade and properties in Jaffa, the youngsters got ready and called the merchants with whom they were dealing and resumed their business again from Amman. Few years later, their trade boomed again especially after some English and Arab banks released part of their bank accounts.

The two happy news touched the father and the mother as part of rewards which God bestow on his patient servants now and then or say between one calamity and another, so which one should they choose?

But Kamleh›s choice was clear and obvious. Those scattered Palestinian

estine and the Palestinian residents were prohibited to come near it neither by sea or air or land.

People conversations were only about emigration, refugees, orchards, the houses which were left full of furniture and the keys that they carried with them hoping they would return. The house key became a symbol of emigration and resorting!!

Faheem wished that he stayed in Ramallah and did not register with refugees in Amman at UNRWA offices. He was not a real refugee. His work was moved from Jaffa so he moved with his family as any normal human being in the world and he can go back to it whenever he wanted like any normal person in the world too. How could he register his family and himself as refugees? But he was forced to do that or else none of his family can go back to Jaffa ever.

Faheem moved or say he immigrated to Amman and registered with the refugees.

When the schools of Amman opened classes for girls in elementary and secondary stages, and when "Zain Al-Sharaf" school was opened – Huda's girls were the first to enroll for nothing is better than to continue education especially for those who were raised to realize that teaching was basic in their lives.

School started and the girls were brilliant. However, the stigma of being a refugee followed the girls wherever they moved. The headmistress enters the class more than once and asks, "Refugee students, stand up" .. they stand up .."Refugee students, go to the school secretary to register your names" .. they go .. "Refugee students, bring your provisions card" .. they bring them. Refugee girls .. Refugee girls .. O God, how much deep the wound that this distinctive feature left in their hearts. Their reaction, however, was more dedication, more study and more excellence.

sun rises and sets as if everything is alright?

Huda's girls had many grand responsibilities.. the least was to carry milk daily from a distance and on foot to the house, while Bakriyya's girls had greater responsibilities .. they were dividing bread and sharing a thin mattress, one room and one bathroom. How many years passed in that situation? When were they able to buy a land that was far from the center of Amman and the blind father stood to watch building it by himself?

The blind father touched every brick added on top of the other and passed his hand over it to make sure it was straight and not tilted .. every slab laid on the floor, concrete pump-pouring of the roof .. every window opening, door frame was supervised by Mahmoud with utmost care. Whenever the family had extra pennies, the building expanded by adding an adjoining room, a bathroom and a kitchen, exactly as his father used to do in Jaffa but on a different measure for the money was very very little, collected gradually by his daughters and wife from tailoring clothes for the neighbors.

All the family was shocked by the death of their beloved grandfather in Jaffa where he remained and did not leave. He refused to leave his properties and lands. As a result, a Jewish soldier shot him in his leg. He was then transferred to a room in "Manshiya" quarter where he remained alone and forgotten until he died.

Those who did not leave Jaffa were forced by the Jews to gather in one neighborhood, and were surrounded by an iron fence exactly as you put fences around chicken or animal farms. Even those who had houses – owned by them - were prevented to come near their houses and were trapped in that neighborhood lest they reject, protest or resist the occupation.

The Jewish emigrants lived in their houses; slept on their beds; and sat on their furniture. Land, sea and air borders were closed around the occupied Pal-

Years of Loss

They were years of loss for sure. One would cling to those who were around him for fear that he might lose them too and Listen to the news of faraway relatives through the radio and letters of longing. People died in the expatriation without finding anyone to console them or condole anyone around him. Expatriation .. Expatriation .. far from homeland .. from home .. from parents, relatives and neighbors.

Neither Huda nor Bakriyya or Faheem or any person could imagine that the situation would come to that end.

"Al-Zahra" School, where girls used to go to in white socks and black uniform with white starched collar .. standing in the school yard and entering classes while music teachers were playing the piano, all became just a memory that the girls longed for.

Days were passing without schools and without teaching .. children were on the streets and men without any work .. talks were only about resorting.

Flowers which used to fill the house every day from the orchard are no longer there .. no one would dream to have them in the house any more.

Oranges that were in canvas bags (with red line) used to fill people's houses are no longer seen except in one kilo or two if available in the first place.

Robin's summer resort and its soft sand like semolina or sugar .. the colored and decorated Feast tents that were full of happiness and joy switched into refugee tents, black blankets, sardine cans, flour and red sugar.

How could a person cope with such reality? How would life go by and the

Little by little, families withdrew to better places. Some went to schools, some went to mosques and others enquired about their relatives and took refuge at their homes. However, most of them went to Amman where the United Nations Relief and Works Agency (UNRWA) was recording refugees in lists and giving them refugees cards “provisions cards” to be able to receive their fixed ration of oil, flour, sugar, cheese and dates to help them survive.

They said that UNRWA will help refugees until they return home, and each refugee should register his/her name to keep that right in return. Whereupon, the trip of torture started.

Faheem tried to know where his brothers, sisters and their families were. One of his brothers emigrated to Syria with his wife and children; his sisters went to Egypt with their husbands; his other brother emigrated from north of Palestine to “Zerka» in Jordan; and his brother Khalid came back from exile to Lebanon. All the relatives were scattered in the neighboring Arab countries. There was no way to contact them or to make sure they were all right. He was still feeling that he had a big responsibility towards them .. so what would he do?

The Surprise

People finally managed to sleep under the trees, near the houses of the village which they reached. The people of the village gave them some bread, olives and water. Suddenly and after they took some rest, one of the young men saw a donkey driven by a man. He quickly went to the man and requested to rent the animal for only two hours. He took the donkey and went back to the road he came from. He went back to his aged mother whom he left under the tree. The old woman was still there and in a better state after she rested. He found her sitting alone at the side of the road. He carried her and put her on the back of the donkey and took her back to where everybody was waiting. People cheered when they saw the old woman. They were all happy to see her alive.

While they were walking, the old woman leaned on her son's ear and said, "Do you know son what is in the waistband I am wearing?" He had no idea. "forty gold liras, I kept them for such a day", she said.

Those liras were the Antidote that saved the family in the disperse.

What an Antidote!! and what a disperse!!

All along the road, Bakriyya was looking forward to reaching her sister's house in Ramallah. But when they reached Ramallah, the situation was very bad. At the house yard, tens or hundreds of emigrants were sitting on the sand. The earth was their bed and the sky was their cover. The emigrants› state was not less difficult than theirs.

Faheem and Huda welcomed Bakriyya and her family. Hot bath was the first remedy to body exhaustion then came bedding and food and afterward they started thinking of a safe refuge.

- How can we leave her and where?

The old woman laid down under a tree and left everything to God. Everybody continued their way as the caravan waits for no one.

All along the road and throughout her life and maybe after her death, the question that will remain in Bakriyya›s, Randa›s and Mahmoud's minds as well as the minds of all the children and the people of Al–Lidd: "Who sold who? Who bought who? and why?

Young men, women, children and men continued their march .. sometimes up and sometimes down .. tripping by stones at one time or being squeezed by their shoes at other times .. Not to mention thirst, which was undisputedly the master of the situation.

At that evening and when they reached the first village and saw the first well .. there was the disaster .. everyone raced for the first sip of water ..!!

How a person is humiliated for a drink facing thirst!!

How a person becomes like a beast in front of his need to drink!! .. even his feelings become savage and wild? Should he give water to his mum, wife, son or himself? Who has the right to drink first?

The Jewish soldier simply said, “Go darling to Amman to the king. We bought this land, these houses and this furniture from him. We paid one Dinar and a half for each one of you. Go and he will give you food, bread and shelter”.

He followed his words with gun shots and he with the other man pointed their guns at her. Everyone clung to each others. Then the soldier opened the door and ordered them to leave .. and so they did.

It was a summer day, at noon. The girl held the hands of her father and her mother-in-law – the mother of her husband. Her mother and sisters followed them and they all went to where the Jewish soldier pointed. Oh what a mess! They all were so perplexed.

Her husband wasn’t at home. Men were gathered in the city square. The Jews kept on shooting bullets on women, children and youngsters to frighten them and let them leave their houses faster. They all headed to one road. To the east out of Al- lidd towards Jordan.

During their march, whenever people felt powerless and lazed in fast walking, bullets were shot at them from the back .. some were falling down and the rest were striving to hasten their steps.

While the sun’s heat was growing stronger, people›s thirst was increasing. No one of them took water or bread with him because they were taken out of their houses quickly. Nobody took “zowwada” or what any passenger might need on his way.

People continued walking. Exhaustion and suffering got worse. After hours Randa’s mother-in-law could not go on. Her son carried her but he could not walk. Everybody conferred about the old lady.

Men stood in Al- Lidd square clapping their hands for the Jordanian Army with their red hattas and greeting the soldiers with cheers and ululations. But the Jordanian Army was not a Jordanian army. Soldiers were talking in a strange accent. They were forcing men stand to the walls and shooting them. In fact, they were Jewish soldiers in a Jordanian costume to mislead and deceive the Palestinians !!

Bakriyya crouched down with her daughters and husband at the corner of the house while Randa – the owner of the house - opened the door to a soldier whom she really thought to be Jordanian. He was accompanied by another man who did not talk. The soldier said to her, "Come on darling, leave the house you and your family and give us the key".

With complete astonishment and surprise, Randa asked him, "But How? and why? How can I and my family leave the house? To where? This is my home and this is my furniture".

Her furniture was still new for she was still a bride. She was in her first year of marriage. Her bedroom was new. She bought it from the best shops in Jaffa. Her dining room was also new. Nobody sat on it yet, neither guests nor relatives. The curtains were the same as she first bought them. The bedroom quilt was brought to her from America by her brother-in-law.

How? How would she leave all of this? Her clothes were especially made for the wedding, long and short dresses, evening dresses, nightgowns, her special lingerie and her shoes. Every bride in Palestine used to get ready and buy every little thing from the underwear to the shoes. How would she leave all this? Where would she go?

She gathered her strength and said, "But this is my home, how can I leave it?"

Nobody Knew Where the Other Left!

Bakriyya held her daughter's hands from one side and her husband's hand from the other and set off not knowing where to go. Was it safer to go to her daughter›s house in Al-Lidd or to her sister's house in Ramallah? Their neighbor, the owner of sailing boats, traveled to Alexandria in his boat after trusting his house to their care until he is back. Her husband's aunt went with her little kids to Syria on a boat which left Jaffa Port with hundreds of women and children on board. The sons of the other neighbors left with their wives to Gaza in the south, some of whom stayed in Gaza and some – as I was told afterwards – left by trucks to Egypt.

Bakriyya›s father-in-law, Sheikh Abdullah, strongly refused to leave his home, his orchards and his estates which he built by his hands brick by brick and stone by stone. He said to her, "Go my dear with your blind husband. I will stay here in our land. We will contact you when war calms down and then you can come back to your house - God willing - honored and with your head up high. Don't worry about your furniture, the most important thing now is to reach your daughter's house in Al- Lidd".

More than half of Jaffa's residents – the biggest city in Palestine that was embracing more than a hundred and twenty thousand people - left it in the greatest exodus, dispersed between the south, north and east or the west across the sea. They all left their houses and orchards under constant and heavy bombarding. There were death and devastation from one side and big hope that Arab Armies would enter to aid Palestinian rebels on the other side.

When Bakriyya, her daughters and her husband reached Al-Lidd, the hope to return to Jaffa bloomed and became closer to reality. Everyone asserted the arrival of the Arab forces along with the Jordanian Army to Al- Lidd to protect it.

The situation was really hard. Huda's complaining increased: "The girls, O Faheem .. the girls .. how can we protect them? They have grown up .. they became young women .. what should we do to protect them?

Were Faheem and Huda running from one fate to another? Were they escaping from the Jews and from the British soldiers? Did The father›s job allow him to move easily between Palestine's cities?

Faheem carried his furniture (chairs – tables – beds – dining table and chairs - rugs – blankets - mattresses – cupboards – utensils – clothes) and even the food stuffs collected by Huda fearing from war and from not finding like them in the markets and moved – carrying them – from Ramlah to "Ramallah". Was Ramallah really safer than Jaffa or Ramlah? or it is just that man is guided by Allah and not given choice.

The truck carried the housewares and furniture. The girls sat near the furniture and above it to support it so as not to fall. The mother sat at the front seat of the truck embracing both her male child who was two years old and her new born baby. The road was bumpy and going up to Ramallah increased the burden on girls to protect furniture from falling. The scene of high mountains frightened them because they only knew the flat plains of Jaffa and the beautiful green pastures.

One or two months after they reached Ramallah, Jaffa fell, its garrison was killed and the rest of its people were forced to leave.

Departure and then Departure Once Again

The orchard was neglected as Khalid was still in exile with the revolution leaders; Faheem was in Ramlah in his job; and Ahmad – after he finished his studies in Cairo - went to work at the Department of Land and Survey in the North of Palestine. The guards of the orchard moved with the rebels to mountains to hide from the eyes of the British soldiers. The British soldiers damaged Iskandar Awad street and a big part of old Jaffa to retaliate from the rebels and the revolution. Arab workers at Jaffa's port announced strike after finding out big amounts of weapons that were smuggled in order to arm Jewish emigrants. Jewish ships were downloading their loads of Jewish emigrants North Jaffa away from the eyes of the Arabs. Those emigrants spread in Jaffa›s suburbs and built their own houses in a fortnight. The British government helped them in the fields of housing and construction as well as arming, which was forbidden for Arabs. Problems were aggravated. A new Jewish city was built North of Jaffa in an area used to be called "Tel El- Rabee" but the Jews changed its name to "Tel Aviv".

The armed Jews attacked Jaffa from Tel Aviv and the rebels sought help from the Arab countries to support them with weapons to defend their city and the Arabs promised to help but did not fulfill their promises. The situation were getting worse .. Jaffa's garrison was calling out for help but with no answer.

In Ramlah, on the other hand, things were getting worse and worse for the family. Their house was in the far edge of the city. There were no neighbors or relatives. British soldiers were coming and going from the garden of the house towards "Al-Kobaniya" - their headquarters. At night, one could see continual military exercises by Jews - as asserted by everybody - who were learning how to use weapons. There were continual military movements. The girls were not able to go out of the house. How can one protect the girls and the wife in such location?

She was also the one who took good care of his cousin and she bestowed love and compassion to her, taught her and gave her good clothing. She was a mother and a father to her during her studying stage and taught her how to recite the Qur›an. She took good care of her as well after she got married, during her pregnancy and after delivering her daughters. She protected her and was keen that nothing bad might happen to her. Now she is saying farewell to life before her granddaughter travels to Ramlah.

In Yazour cemetery, Faheem set the grave and took care of its location and building. He chose a good area saying to himself, "She loved life and fresh air. I will build her a convenient tomb on a spacious land overlooking two streets".

He built the grave - "Fustoqiyya" – which is a room that is high above the ground with a small vent like a window that is closed with cement according to her will.

At that time, fortunately for Huda, Bakriyya's eldest daughter got married, while she was still fourteen years of age, and moved to live with her husband in "Al-Lidd", the closest city to Ramlah. The two sisters felt that Huda›s moving would have a positive side as she might be closer to the newly married daughter!!

But destiny was hiding something else to both of them.

Transference

In the morning of January 9, 1947, Faheem entered with a gloomy face and said to his wife, "They moved my job from Jaffa to Ramlah and we are leaving in days .. what do you say?

Huda was shocked. How could she move to Ramlah? To whom would she leave her house? How could she stay away from her sister? Who would look after her granny Um Hassan? And the schools of her girls!! The eldest daughter was superior in her study at school and so was the second one. The third would be enrolled soon. Their school is nearby and they was going to school on foot and all teachers knew her daughters and treated them well. How would she leave to Ramlah? Would there be schools as efficient as Jaffa›s schools? Jaffa .. The mermaid of the Mediterranean sea .. hoe would they leave it to Ramlah? It is true it is far from Jaffa a few kilometers to the southern east .. It is true that Ramlah was the Capital of Palestine when it was under the rule of the Turks, but it is a city with no sea or coast .. How would life be there?

Before one year of the calamity, Britain was trying to separate governmental departments into two divisions: one for the Arab officials and one for the Jews officials as a preliminary stage to divide Palestine. Therefore, they moved the Department of Land and Survey to Ramlah and hence moved Faheem to it, and established another Department for the Jews in Tel Aviv, which was the core for the establishment of the Jewish State.

Before Huda traveled with the children and after she said goodbye to her granny Um Hassan, her granny died. She slept that night and did not wake up. Was she sad because her granddaughter would go and leave her?

In Yazour graveyard, Faheem prepared the grave of Um Hassan. She was dear to him because she was aware of his love to his cousin and kept his secret.

son that she always dreamt to have.

Barrels were filled once again with sugar and flour, but this time for a joyful event. Lambs were slaughtered and meat with rice was distributed to strangers and relatives. “Mawled” ceremonies were held and the holy Qura’n was recited for hours because joy was little in the lives of the Palestinians and seizing the moment was taken by force.

The father traveled by train from Jaffa to Cairo in Egypt and brought presents and toys for his daughters and relatives. The older girls put the pretty dolls in their rooms and on their beds. Bakriyya’s daughters also shared in those presents, because Huda always loved to share her sister the wonderful moments.

Ululation by Um Hassan

Huda delivered a girl after a girl. Bakriyya also gave birth to girls only .. Huda gives birth to a girl and Bakriyya gives birth to another while their grandmother Um Hassan did not know how to divide her sadness and sorrow between her two granddaughters. The occupation, the British Mandate and Jewish Emigration on one side and Huda›s and Bakriyya›s daughters on the other side. When are they going to have baby boys?

Each one of them delivered six girls and no boy yet. "O God, You bestows daughters on whosoever You will and give sons to whom You choose and may make barren whomever You will .. I pray to you not to deprive these orphan granddaughters from having sons to be their support in this life. O God, you are the provider, please give them sons and let me see my grandsons before I die".

Um Hassan remained loyal to her two granddaughters. That night, the ten-year-old, the nine-year-old, the eight-year-old, the six-year-old and the four-year-old granddaughters stood beside their granny Um Hassan praying to Allah with her to bestow a boy to their mother, who was on the verge of childbearing. Their grandmother said to them, "sit sown my dearest and beloved ones, pray to Allah to have a brother because the invocation of little girls is answered".

The two-year-old girl didn't understand what was going on, but she sat with her sisters invocating to Allah that their mother would be in good health and bring them a brother.

At midnight, Um Hassan went out to the terrace and started ululating again and again while turning her face to that side and this side until all the neighbors woke up. All neighborhood including the workers and guards stepped out. Faheem rushed towards the old woman trying to stop her and let her get inside, but all the neighborhood concluded that the boy arrived and that Huda delivered the

Termination of the Strike

The economic situation got worse for Palestinians. Their works stopped, especially the proletariat "porters".

Down the stairs and behind the main door, Faheem put two big barrels: one for sugar and one for flour. Huda was in charge of these two barrels in addition to her big responsibilities at home. Not a day passed without giving some sugar or some flour to anyone who may ask. Not a day passed without exchanging lamb, chicken, eggs or vegetables with the neighbors and relatives. If selling stopped due to the general strike, there would be exchanging stuffs between neighbors and relatives because the strike had to succeed.

After some months, Arab countries and Arab leaders intervened to stop the strike and put an end to the people's suffering. They assured the Palestinians that they would work relentlessly on canceling Balfour promise and stopping Jewish emigration. As a result, Haj Amin El-Husseini sent a message to the people of Palestine to end the strike. The people of Jaffa received his message with strong zeal. It is true that they were very patient, but patience has limits. Life had to go on; young men had to go back to their businesses, students had to return to their schools; workers to their shops; and fishermen to their fishing.

Life did go on but not as it should be as the Second World War was on the doors. From one revolution to another, from a war to another and from a distress to another, that›s how life went on with Huda and her family.

Strike continued – in 1936 - for six whole months, during which people committed themselves of what their leaders decided. No selling and no buying; no schools and no working at any department. Just emergency sections in hospitals, bakers to bake bread and certain matters that were very important in people's lives.

the other hand, Rebels were asking for money support to buy weapons in order to defend their lands and their orchards. His orchard specifically required more than one guard to protect it from the Jews attacks. Who would do all that and how this situation would be solved?

People of Palestine were all committed to the strike. They were also committed to arm the rebels. Prisons were filled with Patriots and Liberals. Khalid and his companions were arrested and put in Jails. They were moved from one prison to another. Prisoners continued Their activities from inside prisons, and thus all the leaders of the revolution were exiled outside Palestine to a distant island called "Seashell" in the Indian Ocean opposite to the African coast, Madagascar Island and Somalia to be exact.

The British influentials exiled Khalid and all the Palestinian political leaders to this empty island where nobody lives. A place that is full of the memories of other Arab leaders who were previously exiled for the same reason, such as the Egyptian leader "Ahmad Orabi" and his friends because this island, after being seized by Britain, became the place to which all those who dared to object against their colonial policy were exiled.

In 1947, the British people were prepared to leave Palestine. Before leaving it, however, they instilled Zionists gangs loaded with all kinds of weapons, whereas they prohibited Arab people from possessing any kind of weapons or even knives!

When the British government set the political leaders at the exile free - which was a very late action - the Zionist gangs had already put their hands on Palestine and the big "exodus" had taken place. Khalid's relatives and all of Jaffa's people were forced to leave their homes and lands.

Khalid in Jail

Faheem was offered a "decent" job in the Department of Land and Survey because he studied "survey" and he was an expert in lands and fixing their borders. In addition, he had a good knowledge of the Palestinian cities and villages, especially Jaffa and most importantly mastered English language. This Department, which was subsidiary to the British Mandate, was always seeking to employ good English speakers.

Faheem had to support his family, his wife and his brother, who was studying in Cairo, and as well to support his brother in his struggle. The government job would ensure fixed salary and high prestigious status.

Khalid sat alone with his brother Faheem. He said, "We will stop merchants from selling their farm products; we will stop fishermen from catching fish; we will close shops in the market; and we will urge people to stop working in governmental departments and schools. The leader of Palestine Haj Amin El-Husseini and the political leaders in the whole country have decided to declare a general strike and to boycott the government of the British Mandate .. so what can we do?"

It was not easy for Faheem to abide by the strike and to stop his business, his trade and his governmental post because he was the one responsible for the charitable endowment from the shops and lands, and he had to provide money to all the endowment beneficiaries, the most important of whom were wife and her sister Bakriyya. He was also in charge of marketing the orchard's production; its vegetables, flowers, oranges and even its poultry and animals. At the same time, he was an employee during the day working hours in the Department of Land and Survey. He was afraid that if he adhered to the strike, he would lose his job while his house needed more money and his brother who was studying Al-Azhar in Cairo was in a constant need of money for his study and stay. On

wanted it to be ready when Mahmoud plans to get marry.

However, Mahmoud - the eleven-year-old boy - was fond of playing. He used to play in the yards. One day, there was a fierce storm that blew sand in Mahmoud's face and his eyes were full of sand. He started to rub his eyes with his hands and went home while the sand was still filling his eyes. He kept on rubbing them and calling his mother, who was close to him but he couldn't sea her.

The Family was alarmed. Mahmoud's father was frightened and took his son to the doctor but unfortunately both his corneas were damaged and could no longer be cured. Few days passed and Mahmoud became totally blind. His father took him to Egypt to treat his eyes but with no use. People used to be happy to go to Egypt but for this sad family it was despair. How can they be happy while Mahmoud has no sight?

Mahmoud grew up and be came vigorous with a strong personality. He asked for marriage as if Bakriyya was there waiting for him. Bakriyya was simple and orphan girl with moderate beauty. If she sat beside her sister Huda, the balance would tilt in favor of Huda, who was enjoying a good looking, tall stature and youthful skin.

Mahmoud proposed to Bakriyya. He was a groom that any family would wish to have because he was from a well known family with lots of buildings, estates and farm lands. But he is blind, so how can she marry him and live a whole life with him?

After few days, marriage took place and celebrations were held. Some months later, Bakriyya was embracing her first daughter before her sister Huda!! The Almighty God is the one who gives and prevents, provides and destines and is capable of everything.

Bakriyya Getting Married

Jaffa›s families are known to each others. Jaffa is truly "Mother of Strangers" as it is known because any stranger that is not from its original families, can live in it easily with no trouble. Jaffa would embrace strangers and be compassionate to them as if they are its children.

It is true that most Palestine's residents were always dreaming that one day they would go to Jaffa and, see its lovely sea and enjoy its shore›s soft sand. It is also true that people in most of the Arab countries like Baghdad, Cairo, Damascus, Amman and Beirut were eager to come to Jaffa to do shopping in its markets and enjoy its civilization and cultural modernity. However, its families were familiar to each others like Sheikh Shaban›s family, Al-Qalyoobi family, Qolaghasi family, Al-Qambargi, Al Dabbagh, Al-Azzooni, Abdul- Raheem, Al Dagani, Al-Hajjaj, Baidas, Al saeed, Haikal, Al-Dirhally, Shahabudin, Sakijha, Haj Abed and a lot more.

The number of Christian families, on the other hand, was similar to the number of Muslim families. There were for instance the Modo family, Al-Jelda family, Jday, Issa, Ghandoor, Elia, Odeh and Al-Khory; and there were no difference in customs and traditions between Muslims and Christians.

One of the most important owners of estates in Jaffa was "Sheikh Abdallah Al Azzoni". Each penny he collected was spent on stones. He persisted on building houses, elevating walls, adding floors one after the other; dwelling in one, transferring houses to his sons and leasing other houses to strangers. He had a belief that the stone is more valuable than gold and cash. He was always ready when one of his sons gets older to secure a house for him even before he gets married for the house is more important than marriage and comes before.

Before "Mahmoud" got older, the father started to build a house for him. He

Then how would ships loaded by Jewish emigrants be allowed to disembark at Jaffa Port? How would Arab workers approve to receive and let them enter their country? And how would they accept to let the Jews enter their weapons or participate in downloading them to be used to kill their brothers?

Khalid, Faheem's brother, perceived this danger that were about to inflict Palestine, and so he dedicated himself to defend his nation and rescue his country. He worked with politicians and Palestinian rebels in an attempt to stop Jewish emigration to Palestine and to prevent the Jews or their weapons from entering Palestine. He was working with Palestinian Leaders such as "Haj Amin El-Husseini" and with al the patriots in all Palestine's big cities like Jerusalem, Nablus, Tul karim, Haifa, Akka, Gaza and Asqalan.

How many demonstrations did Khalid lead? In how many assemblies to reject the occupation and Jewish emigration did he participate? In how many committees for boycott and insurgency against England did he share? How many meetings with the revolution leaders and rebels did he hold? His role was great to the extent that he could not attend the wedding party of his own brother "Faheem" and his cousin "Huda".

After some time, when "Haj Amin El-Husseini" accompanied by a number of political leaders and rebels left to Iraq with the aim to support the revolution and train rebels, Khalid went with him for he was his right hand due to two reasons; he was a patriot on one side; and his was versed of the English language on the other side. When they came back to Palestine, they were received by overwhelming joy. Celebrations and reception festivals were held in all Palestine›s houses, schools, mosques and halls all over the country.

That day, Faheem›s house in the Orchard shined with the lamps and decorations spread all around celebrating Palestine leader and Khalid.

With the Revolution

Only one member of the family didn't attend the wedding. It was "Khalid", who didn't have time to weddings and celebrations or to waste any time. His work took all his time because he was a political man, struggling to protect the land. Palestine was boiling at that period of the year 1930 and full of violent political events.

In 1917, "Balfour" gave a promise to the Jewish community that he would support the creation of Jewish state and the establishment a Jewish homeland in Palestine. The First World War ended with the victory of Britain and France, which divided the legacy of the Ottoman Empire between them. At the end of the war, Britain was given Palestine to govern as a League of Nations mandate, and thus a British High Commissioner was appointed to rule Palestine. The door for the Jewish emigration to Palestine was opened wide and hundreds of thousands of Jewish emigrants flowed in big ships to the Palestine coasts.

Britain started to fulfill Balfour promise on the ground by assigning English managers at the most important official departments. English language was imposed and then the Jewish language on all official documents and registration instruments of lands, real estates, houses, shops as well as the names of streets and birth certificates not to mention tax and water departments.

In short, every aspect of the Palestinians› lives have been directly affected due to the British Mandate and its policy of Judaizing the country.

Jaffa's Port was one of the most important ports in Palestine, from which Arab workers were exporting Palestinian commodities to other countries of the world or importing goods from around the globe to Jaffa Port and then to Palestine and east of Jordan. Ships used to stop in the harbor either to load goods from or to download goods on Jaffa Port and Palestine.

Seven Pleasant Nights

As for Huda, maybe she was also dreaming of a better life now that she has moved to her groom's house in the big orchard surrounded by orange and grapefruit trees in addition to chicken coops, rabbit houses, flower basins and water pools. Her groom has also prepared a wonderful bedroom for her in the family house.

The wedding took place on the largest water pool in the orchard. Faheem filled the pool with apples, oranges, roses and flowers and then he illuminated the pool with glow-lamps from every side. He even lit all the orchard's passages with long electricity bars with colored lanterns. The cooks were prepared to cook lamb meat with rice for guests and relatives throughout the wedding days.

All the relatives and workers at the orchard – men and women - started to celebrate the wedding of this young groom and the most beautiful girls in Haffa.

The family woman raced to help in Huda's wedding while the hairdresser put make-up on the bride›s face and brushed her hair.

In Jaffa, Iskandar Awwad street and Jamal Basha street were both known to any bride as the best places where she can buy her trousseau. Um Hassan in turn was generous to her and bought everything that the bride may need because the girl was very beautiful and everything would not only fit her but rather boost her beauty.

Wedding in Jaffa means "seven pleasant nights" and seven different gowns. The bride would dance while wearing each gown with professional dancers usually called "Jinkys", and our bride was truly beautiful and deserved a good wedding. The groom was also young, rich and manly; so why not making his wedding the talk of the town.

Years passed. Huda did not reach 13 years of age when Faheem asked his father Haj Mohammad to propose to her for himself as he could not stay any longer without her or think she might be the wife of someone else.

Faheem used to follow Huda on her way to school and back from it. He also helped Um Hassan in her shopping by sending her a carro cart to take her to the market and back home with the groceries, and when his mother was planning to invite her friends, he was always intent to make his mother invite Um Hassan and her two granddaughters, hoping to see Huda even if remotely. When his younger brother insisted on going to Egypt to study in Al-Azhar Mosque in Cairo, he was determined to stay in Palestine and study in its schools in order to stay close to the orchard and the endowment and above all, to remain close to his cousin until his dream comes true and marry the most charming girl.

And it actually did come true ..

Faheem wore the white suit, rode the white horse and carried his bride Huda on his wings, with the dream to live happily ever after.

Bride and Groom

When Haj Mohammad called his five sons so as to send some eggs and tomatoes from the orchard crops to Huda's house with one of them, his son "Faheem" jumped from his place to take the bundle by himself and deliver it to his cousin Huda.

- Me dad, I will take the things and deliver them.

Haj Mohammad was satisfied because even though Faheem was not his eldest son, he was the most energetic. He knew much about the orchard and took good care of its crops. He even was following up the expenses of the orchard and the workers day by day. He was aware of the exact number of orange boxes to be sold in Palestine and the number of boxes to be exported to the Arab countries or to Europe and to England. He was learning how to manage the "endowment" quickly and skillfully. He even knew every member of the family, sons and grandsons of their great grandfather who left the land for them, and each one's share in it.

Faheem picked up a bunch of roses from the orchard and hid it under the eggs and tomatoes and took them all to Huda's house.

He gave the bundle to Um Hassan and asked about Huda bashfully. Then, and to hide his shyness, he asked about her sister Bakriyya and left at once.

Since that day, he kept on sending Huda›s and Bakriyya's shares from the rents of land and shops on time. He even started sending chicken, rabbits and cut Jews mallow.

The strands of love and passion started to fill his heart.

Huda reached her house quickly and her granny stood by the door to welcome her, but Huda didn't see her granny or anyone else. She entered her room, threw herself onto the bed and she closed her eyes tightly.

40 full days during which Huda was between life and death with the fever all the time. She did not say a word. Her granny Um Hassan stayed beside her trying to know what has happened to her, but she was in a semi-coma. They took her to the French Hospital as her body and face were full of red pimples.

Nobody knew what her illness was. Maybe typhoid, small pox, measles or typhus? She was in good health, laughing and playing with her sister. How O God in less than one hour she turned into something like a corpse. What happened to her?

Um Hassan tried to question the youngest sister but with no use. Maybe she was stung by a snake? Maybe it was a scorpion? Perhaps she had eaten contaminated food? Maybe .. maybe .. but the girl did not respond to anything, neither medicines nor water bandages or boiled herbs. Even rose water with starch solution had no effect on the red pimples!

Huda's family stood by, fearing that this orphan girl would die any moment just like that. The news spread and reached Uncle Mohammad, who arrived at the hospital suddenly after being informed about the medication expenses. He wanted to be updated regarding her situation. After all, he is responsible for these two orphan girls because the endowment which their grandfather had bestowed generates good income from renting the lands and shops as well as the yield from orange, grapefruit and summer and winter crops. He is in charge of this "endowment" – its disbursements and revenues and he is also responsible for the aliment of the two girls in addition to Um Hassan, the mother of their mother.

Maybe the fear of Huda's death changed him!!

shop's door and there came that frightening voice again from behind a huge office behind which Hajj Mohammad was sitting wearing his qumbaz and white Hatta:

- What brought you here, Huda?

In a weak voice that barely came out of her throat she murmured:

- I came to take the money, uncle.

The man rose to his feet and rushed toward the girl violently:

- What money did you come to take?

Huda was frightened. She was just 8 years old then and her sister, who was holding her hand, did not exceed the age of 6. The youngest sister was also terrified and hided herself behind Huda, holding the tail of her dress to protect herself.

The huge man came towards them. Huda had never seen a hand bigger than his hand. She had never seen a man taller than him or a nose or eyes bigger than his. His qumbaz was the darkest. Everything in him was scary, especially that raucous voice:

- Go tell your granny Um Hassan there is no money. Did you hear? We haven't received the rent yet and we didn't sell the oranges. Tell her to manage without the money with "the tiny girls".

There was no sound coming from the girl. She tried to hide behind her younger sister. She stepped behind a little. She had no voice and could hear no body. Her throat was dry and she felt as if her hair rose like pins sticking her head. She rather felt her hand stiffening on her sister›s hand. She rushed out of the shop without looking backwards.

In the Name of Allah the Most Gracious the Most Merciful

She held her sister's hand and rushed to the house of her big uncle, Hajj Mohammad. Her grandmother, Um Hassan, said to her, «Huda, Look after your little sister. Walk on the sidewalk of the road. Stay away from "carro carts" on the road. Come back quickly and don't be late. Tell your uncle Hajj Mohammad that my granny sends her greetings and demands her share from the land's rent as money ran out and we need groceries.

Huda walked with her sister Bakriyya to uncle Mohammad's shop. All along the way she was gazing at the shops on both sides of the road and from far away appeared orange trees, grapefruit and poppy orchards. On the road, there were "carro carts" pulled by donkeys and "Diligence carts" pulled by horses with luxurious benches occupied by elegant men and women. She really wished to ride this simple cart or that rich one, but alas! She was orphan with no father or mother. She never knew the meaning of the word "Mama". She did not even remember if she once said it. Her sister beside her also did not know her mother. They only had their granny Um Hassan, who was their whole world! and this journey on foot to the shop of uncle Hajj Mohammad, with his long black "qubmaz" , "Hatta" and "aqal" was the hardest job to do. Was she afraid of his Hatta, his Aqal or his Qumbaz? Maybe it was his beard or thick eyebrows that scared her most. There was something scary in that trip to his shop, but her granny Um Hassan was insistent in sending her every month on the same date to demand her and her sister›s shares from the rents of the land and the shop, which they inherited from their father.

The moment Huda reached that shop, she heard a hoarse husky voice screaming at her face:

- "Who? Huda?"

She hadn't said or asked for anything yet. She only appeared from the

Our writer felt that there is a lot to do to serve her nation with its central case by spreading awareness among ascendant generations with the history of this cause bearing in mind what their fathers and ancestors offered and sacrificed to rescue Palestine from the clutches of the brutal Zionist aggression. Hence, the writer published a series of heroic stories for children, in which she recited stories of a group of heroes and martyrs, who died with honor while defending Palestine and the rights of its people.

Many books were written and volumes were issued about Palestine's dilemma and what had happened to its people, but this novel "The Woman of Jaffa" was written in a new approach where no detail was missing and yet displayed in short. This was a tough matter to deal with, but the writer is truly competent to address because she was dexterous in making readers live all the stages of the calamity with her family.

Come with me, let's read Mrs. Rawda's wonderful novel and allow me to thank her on this distinguished and sincere effort, for it makes you eager to proceed until you reach the last page.

Doctor Mohammad Ali Hajjaj

Member of Jaffa Association for Social Development

Introduction

He who knows longing suffers from it

From yearning to craving, the life of a Palestinian passes in "the Diaspora" .. dreaming of the day of returning to his usurped homeland "Palestine"; whether he was born on the land and eradicated by extorter Zionists or among those who were born in the "Diaspora" and grew up with the love of Palestine and eagerness to see it after the numerous stories and tales narrated by parents and relatives .. how it was "heaven on earth" and how its people were enjoying a happy and comfortable life before the Jews started their barbarian war against the Palestinians and committed atrocities to force the dwellers to leave their original homeland.

That is the situation with our dear and competent writer Mrs. Rawda Al-Farekh Al-Hudhud, who is now facing a difficult errand in writing a autobiography recalling the tragedy of her family when they were uprooted from their beloved country "Palestine" and her own sufferance and struggle while pursuing to teach her children, some of whom were forced to leave Jordan, the country in which they settled down after the distress of 1948, to other countries in the Arabian Gulf in order to earn their living as was the case with many Palestinian families.

In a seemingly easy but rather challenging style and a spontaneous narration of events starting before the calamity of 1948, the writer, Mrs. Rawda, starts by depicting a real image of the journey of emigration from occupied "Jaffa" passing by "Ramlah", the city in which her family couldn't stay long because Zionist oppression reached it and thus they were forced to leave towards the east to "Ramallah" and then to Amman, where they settled while dreaming of "the Return day" to Palestine.

and accuracy of the details. To her, I would like to express my special appreciation and thanks.

I present my thanks and gratitude to my sons, my nephews and relatives who shared willingly with their opinions - either orally or in writing - on some details. My sons: “Khalid, Shaden, Waleed, Omar and Salahudin Al-Hudhud”. My nieces and nephews: “Hanan Shaban” and her husband Doctor “Mohammad Hajjaj”, “Basil Badran” and his sister “Hala Badran”, “Huda Izzidin” and my cousin “Taher Ahmad Al-Farekh”.

I would like also to thank my friends “Hala Al-Aqqad”, “Reham Husny Hasan”, “Yara Al Barq” and “Lamia Saad Al-Nimry”, who read the manuscript, praised it and suggested that I should increase its chapters:

My deepest appreciation to my friend “Mr. Abdulla Radwan”.

A special thanks to the young gifted artist “Izdihar Hani Al-Afiony” for her artistic painting on the cover.

Lastly, I take this opportunity to express a deep sense of gratitude to the Ministry of culture on its support to print this novel.

Rawda Al-Farekh Al-Hudhud

June 10, 2012.

Acknowledgment

When I heard the terminology "Oral History of Nations" in a lecture delivered by Doctor "Ilham Abu Gazaleh" urging Palestinians to write their own history by themselves instead of leaving it to be written by historians at their own discretion according to their Political affiliations;

When I repeatedly heard the lie that says: "Palestinians had sold their lands before emigration and so they have no right to return to them", and this concept of "selling lands" became a revilement and a stigma on the forehead of the Palestinian refugee wherever he goes especially in Arab countries;

When I attended some meetings and seminars in which "old people" recalled their compulsory emigration from their houses and lands in Palestine, and how they were scattered in refugee camps, I felt I have a duty to write this autobiography recounting my family's emigration from "Jaffa", with the hope to contribute in framing the written history through a personal experience that I have lived throughout emigration since 1946 till this day ..

I'm very grateful to everyone who instigated me to write the "Oral history of nations", and the need to refute the idea of "Palestinians selling their lands and leaving their homelands willingly!!"

I am also grateful to those who read the manuscript and commented on it:

First my Sister "Izdihar Faheem Al-Farekh", who kept on reading it from the beginning and after every enhancement or expansion in its topics, even after correcting it in different drafts. My sister witnessed the emigration, experienced it personally and perceived its details. Thus, she was a witness on the veracity

Special Dedication

To the soul of my father and my mother
To the soul of my sisters, my brother
and his son
And to my sisters and two brothers

General Dedication

To Dr. Radwa Ashour and her Novel
(The Woman of Tantour)
To «Jaffa Association for Social Development»
And the reminiscence talks

Rawda Al-Farekh Al-Hudhud

The Woman of Jafa

Autobiography